أبو القاسم الشابي

أغاني الحياة



الدار التونسية للنشر

أبو القاسم الشابي

أغاني الحياة

الدار التونسية للنشر

كلمة

يسرّ الدار التّونسيّة للنشر أن تعيد طبع ديوان « أغاني الحياة » لشاعر العروبة الفذّ أبي القاسم الشّابّي .

لقد عمدنا في هذه الطبعة إلى زيادة إحدى عشرة قصيدة – قالها في صباه – لم ننشرها في الطبعة السابقة . وذلك إيمانا منّا بوجوب جمع أكثر ما يمكن من تراثه .

وقد قال عنها الشّاعر نفسه في رسالة إلى الأستاذ محمّد الحليوى : « وإن قسما كبيرا ممّا نشر لي لا أريد نشره لأنّني أراه لا أهمّيّة له ، إمّا في روحه أو في أسلوبه ، ولأنّني أرى فيه سذاجة كسذاجة الأطفال ، أبتسم لها الآن ، وأعجب لنفسي كيف سوّلت لي نشره في حينه ، ولكن هي الأيام (1) . »

ومن هذه القصائد سبع وهي : « إياك ، كهرباء الغرام ، صيحة الحبّ ، وعود الغواني ، ليلة عند الحبيب، ليت شعري، في سكون اللّيل. » نشرها فقيد الأدب زين العابدين السنوسي في كتابه : « الأدب التّونسي في القرن الرابع عشر . »

واثنتان : « إلى البلبل ، دموع الألم » نشرتا في حياة الشّاعر

---

(1) رسائل الشابي ص 134 .

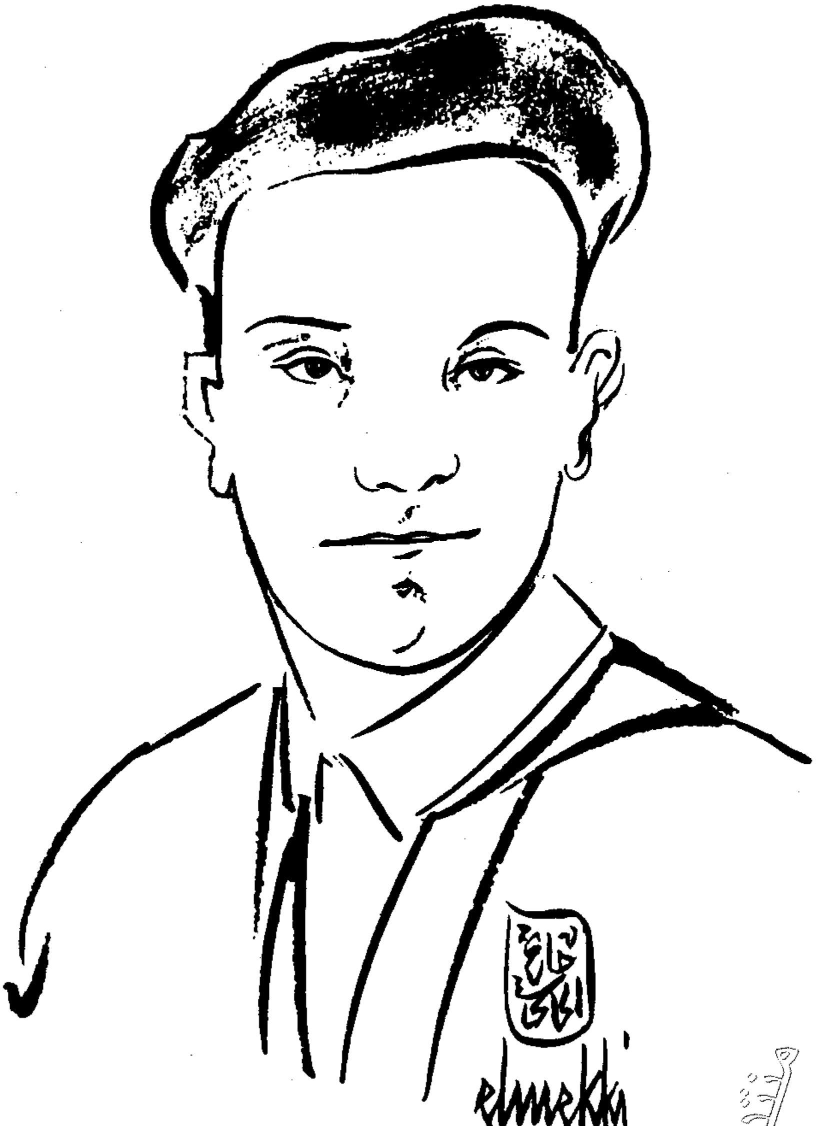
بجريدة النّهضة سنة 1928 ، وأعاد نشرهما الأستاذ توفيق بكار في العدد الثاني من حوليات الجامعة التّونسيّة سنة 1965 .

والعاشرة « الأديب » سبق أن نشرت باسم السيّد محمود خروف مرتين في جريدة النهضة سنة 1928 وفي جريدة الصباح 1966 . وهي في الحقيقة للشّابي كما أكد ذلك الشاعر نور الدّين صمّود في مقاله : « محاولة تحقيق وإحصاء لشعر الشّابي » المنشور في الفكر العدد العاشر سنة 1966 .

وأمّا القصيدة الأخيرة فهي ردّ على تهنئة شعرية للشيخ عامر الشّابي لم تنشر قط وقد أمدّنا بها مشكورا ابنه السيّد محمّد الصالح الشّابي .

وعسانا أن نكون بهذا العمل قد يسّرنا لأجيالنا الصاعدة مادّة تنمّي فيهم ملكة الشعر والخيال وتحبب اليهم لغة أسلافهم الثّرية .

الدار التونسية للنشر



أبـو القاسم الشـابي

إلى الطاغي

يقولون: «صوتُ المستذلِّين خافتٌ
وسمعُ طغاة الأرض أطرشُ أصخمُ»
وفي صيحة الشعب المسخَّر زعزعٌ
تَخِرُّ لها شُمُّ العروش، وتُهدَمُ
ولعلعةُ الحق الغضوبِ لها صدى
ودمدمةُ الحرب الضروسِ لها فم
إذا التفَّ حول الحق قومٌ فإنّه
يصرِّمُ أحداثَ الزمان ويُبرِم
لكَ الويلُ يا صرحَ المظالمِ من غدٍ
اذا نهض المستضعفون، وصمّموا!
إذا حطَّم المستعبدون قيودَهم
وصبُّوا حميمَ السخط أيّان تعلم...
أغرَّكَ أن الشعبَ مُغضٍ على قذى
وأنَّ الفضاءَ الرحبَ وسنانُ، مظلم؟
ألا إنَّ أحلامَ البلاد دفينةٌ
تجمجم في أعماقها ما تجمجم
ولكنْ سيأتي بعد لأيٍ نشورُها
وينبثقُ اليومُ الذي يترنَّم
هو الحقُّ يُغفي... ثمَّ ينهض ساخطا
فيهدمُ ما شادَ الظلام، ويحطم

صفحة بخط الشاعر

ترجمة الشاعر

بقلم

محمد الأمين الشابي

ابو القاسم الشابي

1934 — 1909

هو من أبناء القرن العشرين الذين نشأوا فيما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية ، أيام كان العالم العربي يتعثر بين حاضره الأليم وماضيه القريب المنقوص ، ودعاة الإصلاح وأنصار الجديد في تلك الفترة الانتقالية ، إنما يلقون جحودا وأذى لا تزيدهما سيطرة الغرب على الشرق ، وشموخه بحضارته ، ووثوقه بمصيره ، إلا احتداما وسطوة لدى فريق واسع من الخاصة والعامة على السواء .

بيد أن الشاعر لم يتردد كثيرا حتى عرف سربه فانضم إليه ، ثم صدح محلقا إلى أن اختطفته يد المنون وهو في ريعان الشباب .

كان والده (1) من خريجي الأزهر ومن مجازيه ، وبه درس أولا ، فأقام بمصر في أوائل هذا القرن سبع سنين ، ثم درس بتونس بجامع الزيتونة سنتين ، حصل بعدهما على « التطويع (2) » ، ثم سمي قاضيا شرعيا لسنة من ولادة بكره أبي القاسم فتصرف في قضاء كثير من البلدان التونسية .

---

(1) هو المرحوم الشيخ محمد بن بلقاسم الشابى سليل أسرة « الشابية » التى تمحضت للعلم بعد ان انجبت في القرنين العاشر والحادي عشر هـ ، من حملة القلم والسيف ، من اكتسبت بمساعيهم مجداً سجله التاريخ التونسى .

(2) هى اجازة نهاية الدراسة بالكلية الزيتونية فى ذلك العصر .

كان يقضي يومه بين المحكمة والمسجد والمنزل حيث يتبسط مع أهله ، ولقد نشأ أبو القاسم في سني تكوينه الفكري والخلقي في كَنف رعايته الصالحة يقتبس من علمه وآدابه . كان رحمه الله صادق التقى ، قويّ العقيدة لا يخشى في الحق لومة لائم ، له غيرة على شؤون المسلمين والإسلام ، تنفعل نفسه بما يجري آنذاك من أحداث بالشرق العربي وطرابلس الغرب أو بلاد الريف .

قال الشاعر متحدثا عن أبيه : « إنه أفهمني معاني الرحمة والحنان ، وعلمني أن الحق خير ما في هذا العالم وأقدس ما في هذا الوجود (1) » .

لم ينشأ أبو القاسم بمسقط رأسه ، فقد خرج عنه في سنته الأولى ولم يكد يعرفه إلا قليلا ، أثناء قَدْمَتَيْن أقام فيهما نحوا من ثلاثة أشهر ، الأولى عند ختانه في الخامسة من عمره ، والثانية زائرا ، وقد استغرقت جولة الأسرة عشرين سنة ضربت في بحرها بالبلاد التونسية طولاً وعرضا ، متنقلة من قابس إلى سليانة فتالة ، ومن مجاز الباب إلى رأس الجبل فزغوان . وبين هذه المدن من الأميال ما يقدر بالمئات أحيانا ،وعلى نسبة ذلك اختلافُ العادات واللهجات والمشاهد الطبيعية . فلم تكن واحة قابس كبسائط مجاز الباب يغمرها الحصيد، ولا هذه كبساتين رأس الجبل ، أو كجبل زغوان يكسوه شجر الصنوبر ، ولم يكن حرُّ قابس كثلوج تالة ، ولا حياة الفلاحين بمجاز الباب كحياة صيادي البحر بقابس أو رأسِ الجبل ، ولا طباعُ أهل الشمال كطباع أهل الجنوب .

هذه مراحل أبي القاسم وشبابه عملت على تضخم تجربته ،وتدفق شاعريته، وازدهار ريشته ، بيد أن الشاعر أفاد ما يفيده كل عابر سبيل متيقظ واعٍ ، إذا ما استقر بأرض كان ربيبَها لا ابنَها الأصيل . فأطلقه هذا المَصير من حدود البيئة الضيقة ، وأكسبه « تونسية » إنسانية الآفاق .

(1) كتاب « الخيال الشعري عند العرب » صفحة الاهداء ــ وقد أهداه لوالده .

قدم أبو القاسم إلى العاصمة سنة 1339 هـ — 1920 م. للدراسة بجامع الزيتونة في الثانية عشرة من عمره ، وقد تكوّن سريعا ، وقال الشعر باكرا (1). كوّن نفسه ثقافة واسعة عربية بحتة جمعت بين التراث العربي في أزهى عصوره وبين روائع الأدب الحديث بمصر والعراق وسوريا والمهجر ، ولم يكن يعرف لغة أجنبية ، فتمكن بفضل مطالعاته الواسعة من استيعاب ما تنشره المطابع العربية عن آداب الغرب وحضارته . وكانت أول نشراته في الصفحة الأدبية التي كانت ترتبها « النهضة » كل اثنين — سنة 1342 — 1926 م. وفي سنة 1346 هـ — 1927 م. ظهر شعره مجموعا في المجلد الأول من كتاب « الأدب التونسي في القرن الرابع عشر » (2) وفي نفس السنة ألقى بنادي قدماء الصادقية محاضرة حول « الخيال الشعري عند العرب » كانت مادة الكتاب الذي نشر بنفس العنوان في السنة التالية .

وإنك لتجده وهو يواصل دراسته ويضع شعره في صميم حركات الإصلاح التي كانت تعتلج بها النفوس آنذاك من بعث لحركة الشبان المسلمين ودعوة لتجديد الجهاز الثقافي التقليدي ، ومناصرة لحركة تحرير المرأة (3) ودعوة للتجديد في الأدب تحتل المكان الأول من نفسه وقد أحدث كتابه « الخيال الشعري » الضجة الكبرى واستهدف الشاعر بسببه لحملة صحفية عنيفة ثبت لها ثبات الرائد المؤمن بما يقول .

---

(1) قصيدة (يا حب) التي أثبتناها بالديوان ، نظمها سنة 1342 هـ — 1923 م . وقد وصف صديقه الأستاذ زين العابدين السنوسي طريقته في وضع قصائده ، فقال : «اذا رجعنا الى أدبائنا المعاصرين عرفنا أن المرحوم أبا القاسم الشابي لم يكن يستنزل الشعر ولكنه كان يفيض عليه مهاجمة تمنعه الراحة والنوم ، فيصوغ القصيدة بيتاً بيتاً ويتهجى كل واحدة بمفردها في ليله وظلامه الدامس ولا تفارقه تلك الحال حتى يستفرغ ما جاش بضميره شعراً محكما . ثم ينام مطمئناً كأنما نزع عن ظهره عبئا ، حتى اذا استيقظ في الغد متأخراً وجدها على طرف لسانه ونسخها عن ذاكرته مطمئنا ، وربما طاش عنه الشطر فلا يرضى أن يعوضه ابداً ، وتبقى القصيدة بتراء في جيبه يقرؤها علينا بتراء لا يجسر على ترقيعها ابداً . الا أن يتذكرها ولو بعد أشهر فيتمها وينسخها في كناشة» .

(2) تأليف الأستاذ زين العابدين السنوسي «انظر الجزء الأول من صفحة 203 حتى صفحة 254» .

(3) ناصر الشاعر صديقه المغفور له الطاهر الحداد واضع كتاب « امرأتنا في الشريعة والمجتمع » الذي أثار ردودا حادة وسخطا عنيفا .

نشرت هذه الآثار في حياة والده ، فلم ينكر عليه مذهبه ، ووجد الشاعر في تسامح أبيه ما يعزز جانبه ويثبت خطاه .

وفي هذه الأثناء (سنة 1929) نكب بوفاة والده المحبوب ، ولقد رافقه عليلا من بلد « زغوان » إلى « توزر » مسقط رأسه ، وتجرع غصص مرضه ، وطفحت الكأس بموته وهو في الخمسين من عمره ، فاضطلع بأعباء عائلة كبيرة واختار طريقا وعرا ، فإنه — ضنًّا بحرية الأديب والشاعر — لم يلج باب الارتزاق من المناصب الحكومية ورضي بحياة بسيطة على رأس أسرته بتوزر حيث تزوج ، ولعل هذا الذى عناه بعضهم حين قال : « كنا نرى في نفسه الزكية مثال القناعة في أفضل ألوانها والطموح على خير وجوهه (1) » .

وفي السنة نفسها أصيب بداء تضخم القلب ، وهو في الثانية والعشرين من عمره ، بيد أنه رغم نهي الطبيب لم يقلع عن عمله الفكري ، وواصل إنتاجه نثرا وشعرا . وقد نشرت له سنة 1933 بمجلة « أبولو » المصرية قصائد عملت على التعريف به في الأوساط الأدبية بالشرق العربي ، وإلى أبي القاسم أوكل صديقه الدكتور أحمد زكي أبو شادي تصدير ديوانه « الينبوع » .

لم يكن الشاعر المريض يغادر « توزر » إلا في الصيف ويقصد المصطافات الجبلية كعين دراهم بالشمال التونسي سنة 1932 ، والمشروحة ببلاد الجزائر سنة 1933 .

وشرع أثناء مصيف سنة 1934 في جمع ديوانه « أغانيّ الحياة » بنية طبعه بمصر (2) فانتسخه بنفسه بحامة الجريد ، مستعينا ببعض أدبائها ، لكن باغتته المنية وحالت دون ما نوى . فقد انتابه المرض بغاية الشدة وقصد « تونس » يوم 26 من أغسطس سنة 1934 وبها توفي (3) سحرا يوم 9 أكتوبر سنة 1934 ، ثم نقل جثمانه إلى بلده « توزر » حيث قبره .

(1) مجلة « العالم الأدبى » (شعبان سنة 1353 — نوفمبر سنة 1934) .

(2) حيث تطوع الأستاذ أبو شادى للاشراف على طبعه .

(3) بالمستشفى الايطالى « القديم » بحى « مونفلورى » .

نحيف الجسم ، مديد القامة ، قويّ البديهة ، سريع الانفعال ، حادّ الذهن تكفكف رقة طبعه من غرب عاطفته وحدة ذهنه يراه أصدقاؤه « بشوشا ، كريما ، وديعا ، متأنقا ، طروبا لمجالس الأدب يحب الفكاهة الأدبية » (1) ويراه من لم يخالطه حييا محتشما ويعرف منه هؤلاء وأولئك صراحة حازمة قوية يبديها لخاصة خلطائه في غيرما تَحرج متى اجتمع بهم ويجاهر بها العموم في شعره ونثره . وكان محبا لبلاده ، صادق الوطنية (2) يؤمن بأن لقادة الفكر رسالة إنسانية سليمة حاول جهده أن يحققها في أثناء حياته القصيرة قولا وعملا.

تونس في 12 من افريل سنة 1954 .

م . أ . ش

(1) العالم الأدبى ديسمبر 1934 بقلم المغفور له البشير الفورتى عميد الصحفيين التونسيين .

(2) أبنه فى ذكراه الأربعينية المرحوم الطاهر صفر أحد قادة الحركة الوطنية الممتازين اذ ذاك وأحد أعضاء الديوان السياسى للحزب الحر الدستورى التونسى بما خلاصته : (تكلم الأستاذ صفر نيابة عن قدماء الصادقية على شاعرنا الفقيد فأكبر روحه الأدبية ونبوغه الشعرى واشار الى الناحية الوطنية والاحساس الفياض الذى كان الشاعر يفيض به عن آمال بلاده وآلامها ، وقد ذكر الخطيب أنه اجتمع مع فقيدنا الشابى فى بلدة طبرقة حينما كان الشاعر فى حال شديدة من الألم . وقد دار اذ ذاك الحديث بين الشاعر والزعيم فى الوطنية عما يؤمله للشعب التونسى من التقدم ورثى الشاعر لحال الشعب الآن ، وقد عبر عن ذلك فى قطعة شعرية وطنية نشرتها جريدتا « العمل » بعدد (22) « العالم الأدبى » فى ديسمبر سنة 1934 .

الغزال الفاتن

بذر الحبُّ بذْرَهُ في فؤادي فأورقا
بلِحاظٍ نوافثٍ فجنى حظّيَ الشقا
وسعى فيه مُهرُهُ عاديا ، ثُمّ أعنقا

***

رُبَّ ظبيٍ عِلقته بالبها قد تقرطقا
ثمّ مِن وصلِه الجميلِ غدا القلبُ مُمْلِقا
سَحّرَ اللبَّ طرفُه مادها الريقَ لو رقى
أوْصَبَ الصَبَّ صدّهُ والشفا لو ترفّقا
صار مُلقى بحبّه مُوثَقًا ليس مطلقا
صار ذا جِنّةٍ به ذا عذابٍ ، مؤرّقا

يرقُبُ البدرَ جفنُه لِيُنَاجيه ما لقى
هام في العين غَرْبُه وهَمَى ثم أغدقا
وهمَى صوب همه (I) فاستقى منه ما استقى

***

كم قلوبٍ تفطّرت ودمٍ صار مُهْرَقا
ودموعٍ تسلسلت مثلَ غيمٍ تدفّقا
دون أن تبلعَ النفوس رُضابا مُروّقا
وشقيقٍ بخدّه مهج الخلق شققا ؟
ثغرُه من عقوده ودموعي تنسّقا
خِصرُه من نَحافتي ونُحولي تمنطَقا
مَرْشَفَاه بخدِّه ودمائي تخلَّقا (2)
من لظى جَمرِ خدِّه كبِدي قد تحرّقا
قدُّه فوق رِدْفِه غصنُ بانٍ على نَقا
جِيدُه تحت فرعِه برقُ غيمٍ تألّقا
هِمْتُ وَجْدا بحبّه قد رنا لي فأحرقا
نسَبي في غرامه نسبا صار مُعْرِقا

7 رجب 1341
23 فيفرى 1923

(I) لعل صوابه « دمعه »
(2) أى تطيّبا

أيها الحبّ

أيها الحبّ ! أنت سرّ بلائي وهمومي ، وروعتي ، وعنائي
ونحولي ، وأدمعي ، وعَذابي وسقامي ، ولوعتي ، وشقائي

***

أيها الحبّ ! أنت سرّ وجودي وحياتي ، وعزّتي ، وإبائي
وشعاعي ما بين ديجور دهري وأليفي ، وقُرّتي ، ورجائي
يا سلافَ الفؤاد ! يا سُمّ نفسي في حياتي! يا شدّتي ! يا رخائي !
ألهيبٌ يثور في روضة النفس فيطغى ، أم أنت نور السماء ؟

***

أيها الحبّ قد جرعتُ بكَ الحزْ　ن كؤوسا ، وما اقتنصتُ ابتغائي
فبحقّ الجمال ، يا أيها الحـ　ـبّ حنانيْك بي ! وهوِّن بلائي
ليت شعري ! يا أيها الحبّ ، قل لي :　مِنْ ظلام خُلقتَ ، أم من ضياء ؟

30 ذو الحجة 1342

غرة اوت 1924

خلّه للموت

كلُّ قلبٍ حمل الخسف ، وما ملّ من ذلّ الحياة الأرذلِ
كلُّ شعبٍ قد طغت فيه الدما دونَ أنْ يثأرَ للحقّ الجلي
خلِّه للموت يطويهِ . . . فما حظّه غيرُ الفناءِ الأنكل

1 محرم 1343

2 اوت 1924

النجوى

قِفْ قليلا ، أيها الساري القمرْ !   واصطبِرْ
يا سميري ! في أُوَيْقَاتِ الكدر   والضّجر
واسقِني من جدول النورِ البديع   قدحا
علّمْنِي أفهم هَيْنُومَ الربيع   إن صحا
كم فؤادٍ إذ تولّته الشجونُ   والهموم
بثّ أسلاكَكَ ، والدمع هَتون   ما يروم
إن تكنْ تضحكُ سُخرا بالبشرْ   يا قمرْ !
فلَكَمْ أحزنَك الدهرُ الخطِرِ   بالنُّكُر

أيها القاموسُ يا صوتَ الحياة ! وصداها
وأغانيها العِذابَ الشاديات ونِداها !
ما لأمواجكَ يُطْغيهَا الغرورْ فتَثورْ
ثم تأوي نحوَها تيك الصخورْ كالكسير؟
أتُراها تذكر الأمسَ الجميلْ وسلامَه
فتحيّي ذلك المجدَ النبيل بابتسامه
وتغنّي ، ثمّ لا تلبَثُ أنْ تحتويها
لوعةُ اليوم ، فتبكي وتئِنْ لشقاها ؟

8 رمضان 1343

2 افريل 1925

تونس الجميلة

لستُ أبكي لعسف ليلٍ طويلٍ ، أو لربعٍ غدا العفاءُ مراحه
إنّما عبْرتي لخطبٍ ثقيلٍ ، قد عرانا ، ولم نجد مَن أزاحه
كلّما قام في البلاد خطيب موقظٌ شعبَه يريد صلاحَه
ألبسوا روحه قميصَ اضطهادٍ فاتكٍ شائكٍ يردُّ جِماحَه
أخمدوا صوتَه الإلهيَّ بالعسـ ـف ، أماتوا صُداحه ونُواحه
وتوخّوا طرائق العَسف والإر هاق تَوًّا ، وما توخّوا سَماحَه
هكذا المخلصون في كلّ صوبٍ رشقاتُ الرّدى إليهم مُتاحه
غير أنّا تناوبتنا الرّزايا واستباحتْ حمانا أيّ استباحه

* * *

أنا يا تونس الجميلةُ في لجٍّ الهوى قد سبحت أيَّ سِباحه
شِرْعَتي حُبُّكِ العَميقُ وإنِّي قد تذوَّقْتُ مُرَّه وقَراحه
لستُ أنصاع لِلوّاحي ولو مُتّ وقامتْ على شبابي المناحه
لا أبالي . . . وإنْ أُريقَتْ دِمائي فَدِماءُ العشّاق دَوْماً مُباحه
وبطول المَدى تُريكِ الليالي صادقَ الحُبِّ والوَلاَ وسَجاحه
إنّ ذا عصرُ ظلمةٍ غير أنِّي من وراء الظلام شمتُ صبَاحه
ضَيَّع الدهرُ مَجْدَ شعبي ولكنْ ستردُّ الحياةُ يوما وشاحه

10 ذو القعدة 1343

2 جوان 1925

شعري

شعري نُفَاثة صدري إن جاش فيه شعوري
لولاه ما انجاب عنّي غيمُ الحياة الخطير
ولا وجدتَ اكتئابي ولا وجدتَ سروري
به تراني حزينا أبكي بدمعٍ غزير
به تراني طروبا أجرّ ذيلَ حُبوري

***

لا أنظم الشعرَ أرجو به رضاء الأمير
بمدحةٍ أو رثاءٍ تُهْدَى لربّ السرير
حسبي إذا قلتُ شعراً أن يرتضيه ضميري

***

ما الشعر إلا فضاء يَرِفُّ فيه مقالي
فيما يسرّ بلادي وما يسرُّ المعالي
وما يثير شعوري من خافقات خيالي

*
* *

لا أقرض الشعر أبغي به اقتناص نوالِ
الشعر إن لم يكن في جماله ذا جلال
فإنّما هو طيف يَسْعَى بوادى الظّلال
يقضي الحياة طريدا في ذِلّة ، واعتزال

*
* *

يا شعر ! أنت مِلاكي وطار ِفي ، وتِلادي
أنا إليك مُراد وأنت نعم مرادي
قف ، لا تَدَعْنِي وحيدا ولا أدعك تنادي
فهلْ وجدتّ حُساما يُناط دون نجاد

*
* *

كم حطّم الدهرُ ذا همّةٍ كثيرَ الرّمادِ
ألقاه تحت نعالٍ من ذلّة وحداد
رفقا بأهل بلادِي ! يا مَسجنون العوادي !

21 ذو القعدة 1343
13 جوان 1925

الصّيحة

يا قومُ ! عَيْنِيَ شامتْ   للجهل في الجوّ نارا
تتلو سحابا رُكاما   يتلو قتاما مُثارا
يُثير في الأرض ريحا   يُهيج فيها غُبارا
تلفي الشديدَ صريعا !   تُبقي الأديبَ حِمارا !
منها الفضاءُ ظلامٌ !   والناسُ منها سُكارى !
قد أورثْتهم دُوارا   وأعقبتْهم خُمارا !
لا يعرف المرءُ منها   ليلا رأى أم نهارا !
يَخال كلَّ خيال   سرى ، تَسَرْبَلَ فارا !

***

يا قومُ سِرتم حثيثا خُطًى ، وراءً ، كبارا
نبذتُمُ العلم نبذَ النوى قِلًى ، وصَغارا
لبِستمُ الجهلَ ثوبا تَخِذْتُمُوه شِعارا
يا قومُ ما لي أراكم قَطَنْتُمُ الجهلَ دارا ؟
أضعتمُ مجدَ قوم شادوا الحياةَ فَخارا
أبقَوْا سماءَ المعالي بما أضاءوا منارا
حاكوا لكم ثوبَ عزّ خلعتُمُوه احتقارا
ثمّ ارتديتم .... لَبوسَ خِزي ، وعارا

***

يا ليت قومي أصاخوا لِمَا أقول جهارا
يا شعر ! أسْمَعْتَ لكنْ قومي أراهم سكارى
فلا تُبالِ إذا ما أعطوْا نِداك ازْوِرَارا
واصبِرْ على ما تلاقي واصدَعْ ، وُقِيتَ العِثارا

21 ذو القعدة 1343

13 جوان 1925

في الظلام

رفرفت في دُجية الليل الحزينْ   زُمرةُ الأحلامْ
فوق سرب من غمامات الشجون   ملؤها الآلام

***

شخَصت ، لمّا رأت ، عينُ النجومْ   بعثةَ العُشّاقْ
ورمتْها مِن سماها بِرجُوم   تسكب الأحراق

***

كنتُ إذ ذاك على ثوْب السكونْ   أنثر الأحزانْ
والهوى يسكب أصداء المنون   في فؤادٍ فانْ

***

ساكتاً مثل جميع الكائناتْ   راكدَ الألحانْ
هائمٌ قلبي بأعماق الحياة   تائهٌ ، حيران

***

إنّ لِلحبّ على الناس يداً   تقصف الأعمارْ
وله فجر على طول المدى   ساطعُ الأنوار

***

ثورةُ الشرّ ، وأحلامُ السلامْ ،   وجمالُ النورْ
وابتسامُ الفجر في حزن الظلام ،   في العيون الحور

5 ذو الحجة 1343
27 جوان 1925

جمال الحياة

سِرْتُ في الـروض ، وقد　　لاحت تبـاشيرُ الصبـاحِ
وجَنـاحُ الفجر يُـومـي　　نحـوَ رَبّـات الجنـاحِ
والدجـى يسعى رُوَيْـدًا　　سعـيَ غيـداءَ ، رَدَاحِ
ونسيمُ الصبـح يَسري　　سَجْسَجا ، فوق البِطاحِ
وخـريـرُ النهـر سكـرا　　نٌ ، وزهرُ الروض صاحِ
فرنتْ نحو جلال الكـــــون جوناءُ اللّيّاحِ (1)
ثـم بـانَتْ في سفـــور　　فـاضحٍ أيَّ افتضـاحِ

(1) الجوناء : الشمس ، والليّاح : الصباح

فاحتستْ خمر ندي الدّا   مِس من كأس الأقاحِ
واعتلتْ بلقيسُ عرشَ   الليل في تلك النواحي
ثم مالتْ لِغروبٍ   بعد إضرام الكفاحِ
واستوى الليل برغم   الشمسِ في العرش الفُسَاحِ

*
* *

هكذا الدهرُ بأزياءِ   غدوٍّ ، ورواحِ
وضياءٍ ، وظلامٍ   وسكونٍ ، وصياحِ
ونشيدٍ ، وفَواحٍ   وانقباض ، وانشراحِ
إنّما الدهرُ وميثا   قُ الليالي كَشجاحِ

27 ذو الحجة 1343
19 جويلية 1925

من حديث الشيوخ

ألاَ إنّ أحلامَ الشّبـاب ضئيلةٌ　　تحطّمهـا مثـلَ الغصون المصائبُ
سألتُ الدّياجـي عن أمانـي شبيبتي　　فقالت : «ترامتْها الرِّياحُ الجوائبُ»
ولمّا سألتُ الريـح عنها أجابني :　　« تلقّفها سيـل القَضا ، والنوائبُ »
«فصارت عفاءً ، واضمحلّت كذرّةٍ　　على الشاطئ المحموم، والموجُ صاخبُ»

15 محرم 1344
5 اوت 1925

نظرة في الحياة

إنّ الحيــاة صِــراعٌ   فيهـا الضعيف يُداسْ
ما فاز في ماضغَيْها   إلّا شـديـد المـراسْ
للخِبِّ فيها شجونٌ   فـكـن فتى الاحـتـراسْ
الـكـونُ كـونُ شقاءٍ   الـكون كون التبـاسْ
الـكـون كون اختلاقٍ   وضجّـة واختـلاسْ
سِيّان عنديَ فيه السـرور ، والابتئـاسْ

***

بيـن النـوائب بـونٌ — للنـاس فيـه مـزايـا
البعض لم يــدر إلّا — البِـلى ينـادي البلايـا
والبعض ما ذاق منها — ســوى حقير الرزايـا
إنّ الحياة سُبـاتٌ — سينقضـي بـالمنـايــا
ومـا الرُّؤَى فيه إلّا — آمـالنـا ، والخطـايـا
فـإن تَيَقَّـظَ كـانـت — بيـن الجفـون بقـايــا

***

إنّ السكينــة رُوح — في الليل ليستْ تُضامْ
والـرُّوح شعلـة نـور — من فـوق كـلّ نظـامْ
لا تنطـفي بـرياح الـــ — ـإرهاق أو بـالحســامْ
بل قـد يعُجّ لظـاها — سيلاً ، ويطغى الضِّرامْ
كـلّ البلايا . . .جميعا — تفنـى ويحيا السلامْ !
والـذلّ سبّـة عـــار — لا يرتضيه الكـرام !

***

الفجـر يسطَع بعد الـــ — ـدجى ، ويأتي الضياءْ
ويـرقـد الليـل قســرا — عـلى مِـهـاد العفـاءْ
وللشعـــوب حيـــاة — حينـا وحينـا فنــاءْ

واليـأس موت ولـكنْ ... مـوت يثيـر الشقـاءْ
والجدُّ للشعب روح ... تـوحي إليـه الهنـاءْ
فـإن تولَّـتْ تصدّت ... حيـاتـه للبـــــلاءْ

12 ربيع الاول 1344
30 سبتمبر 1925

الحَيَاة

إنّ هـذي الحـيـاةَ قيثـارة الله ، وأهـلُ الحـيـاة مثـل اللُّحـون
نَغَمٌ يَسْتَبِـي المشاعر كالسحر ، وصـوتٌ يُخِـلُّ بـالتّلحيـنِ
واللّيـالي مغـاورٌ ، تُلْحِـدُ اللّحْـن وتقضِـي عـلى الصّدى المسكيـنِ

5 جمادى الثانية 1344

21 ديسمبر 1925

أنشودة الرعد

في سكون الليل لمّا   عانق الكونَ الخشوعْ
واختفى صوت الأماني   خلف آفاق الهجوع

***

رتّل الرعد نشيدا   ردّدته الكائناتْ
مثل صوت الحق إن صا   ح بأعماق الحياة

***

يتهادى بضجيج   في خلايا الأوديهْ
مثل جبّار بني الْجِنّ   بأقصى الهاويهْ

***

فسألتُ الليل ، والليـــل كئيبٌ ، ورهيبْ
شاخصا بالليل والليـــل جميلٌ ، وغريبْ :

***

« أتُرى أنشودة الرعـــد أنينٌ وحنيـــنْ
رنَّمتهــا بخشــوع مهجــةُ الكون الحزين ؟

***

أم هي القــوّة تسعَى باعتســاف واصطخابْ
يتــرآى في ثنــايا صوتها روحُ العذاب ؟ »

***

غير أنّ الليل قد ظـــلّ رَكُودا ، جامداً
صامتا مثل غدير الـــقفر ، من دون صدى !

15 شعبان 1344

28 فيفرى 1926

عزمُ يتيمٍ

ضعفُ العزيمةِ لَحْدٌ ، في سكينته
تقضي الحياةُ ، بَنَاهُ اليأسُ والوجَلُ
وفي العزيمة قُوّاتٌ مُسَخَّرَةٌ
يخِرُّ دون مداها الشامخُ الجبَلُ
والناس شخصان : ذا يسعى به قَدَمٌ
من القنوطِ ، وذا يسعَى به الأملُ
هذا إلى الموت ، والأجداث ساخرةٌ ،
وذا إلى المجد ، والدُّنْيا لَهُ خَوَلُ

مـا كـلُّ فعـل يُجِـلُّ النّـاسُ فـَاعلَه
مجـدا ، فـإنّ الورى في رأيِهم خطَـلُ
ففي التمـاجد تمـويـهٌ ، وشعْـوذَةٌ ،
وفي الحقيقـة ما لا يدركُ الدّجَـلُ
مـا المجـدُ إلاّ ابتسامـات يفيـض بهـا
فـمُ الـزمـان ، إذا مـا انسدّتِ الحِيَـلُ
وليس بالمَجـد مـا تشقى الحياة بـه
فيحسدُ اليـومُ أمْـسا ، ضمّه الأزَلُ
فما الحروب سوى وحْشيَّـةٍ نهضتْ
في أنفُس الناس ، فـانقادتْ لها الدولُ
وأيقظـت في قلوب النـاسِ عـاصفةً
غام الـوجودُ لهـا ، وارْبَدّت السُّبُـلُ
فـالدّهـر منتعـلٌ بالنارِ ، ملتحـفٌ
بالهـوْلِ ، والـويْلِ ، والأيّامُ تَشْتَعِـلُ
والأرض داميَـةٌ ، بالإثـم طاميـة ،
ومـارِدُ الشـرّ في أرجـائهـا ثَمِـلُ

والمـوْتُ كالمـارد الجبّـار ، منتصبٌ

في الأرض ، يخطف مَن قد خـانه الأجلُ

« وفي المهـامـه أشـلاء ممـزّقـة

تتلو على القفـر شعرا ، ليس يُنْتَحَلُ »

13 رمضان 1344

27 مارس 1926

مأتم الحبّ

ليت شعري !
أيُّ طــيــرِ
يسمع الأحزان تبكي بين أعماق القلوبْ
ثم لا يهتف في الفجر ، برنّات النحيب
بخشوع ، واكتئابْ ؟

*
* *

لست أدري
أيُّ أمــر
أخرس العصفور عنّي، أتُرى مات الشعورْ

حول حبِّي ، فهو قد ودّع آفاق الحياة
بعد أن ذاق اللهيبْ

***

واندبيـــه ،
واغسليـــه ،
بدموع الفجر ، من أكواب زهر الزّنْبَقِ
وادفنيه بجلال ، في ضفاف الشفق
ليرى روحَ الحبيبْ

23 محرم 1345
3 اوت 1927

في جميع الكون ، حتى في حُشاشات الطيورْ ؟
أمْ بكى خلف السحابْ ؟

*
**

في الدياجي
كم أناجي
مَسْمَع القبرِ ، بغصَّات نحيبي ، وشجوني
ثم أصغي ، علّني أسمع ترديد أنيني
فأرى صوتي فريدْ !

*
**

فأنادي :
« يا فؤادي »
« مات مَن تهوى ! وهذا اللّحد قد ضمّ الحبيبْ »
« فابكِ يا قلب بما فيك من الحزن المذيب »
« ابْكِ يا قلب وحيدْ ! »

*
**

ذلّ قلبي ،
مات حبّي !
فاذرفي يا مقلةَ الليل الدراري عبراتْ

الكآبة المجهولة

أنا كئيب ،
أنا غريب .

كآبتي خالفت نظائرها
غريبةٌ في عوالم الحزَنْ
كآبتي فكرةٌ مُغَرَّدةٌ
مجهولةٌ من مسامع الزمن

لكنني قد سمعت رنّتها
بمهجتي ، في شبابيَ الثّمِلْ
سمعتُها . فانصرفتُ مكتئبا
أشدو بحُزني ، كطائر الجبل

سمعتهـــا أنّــــةً يـرجّعُهـــا
صـوتُ الليـــالي ، ومهجـةُ الأزل
سمعتهـــا صرخـــةً مُضَعْضَعَةً
كـجـدولٍ في مضـايـق السبـــل
سمعتهـــا رنّـــةً ، يعـانقُهـا
شـــوقٌ إلى عــالـم يضعضعُهـــا
ضعيفـــةً مثـــل أنّـــهٍ صعـدتْ
مـن مهجـــةٍ هـدّهـا تَوجُّعهـا

كـآبـةُ النـاس شعلةٌ ، ومتى
مـرّت ليـالٍ خبَتْ مع الأمـدِ
أمّـــا اكتئـابـي فلـوْعـةٌ سكـنتْ
روحِـي ، وتبقـي بهـا إلى الأبـــد

***

أنـا كـئيب ، أنـا غـريـب ،
وليس في عـــالم الـكـآبة مـنْ
يحمـلُ مِعشـارَ بعضِ ما أجِـدُ
كـآبتي مُـرّةٌ ، وإن صرختْ
روحي فـلا يسمعنّهـا الجســـد

كـآبتي ذات قسوةٍ صَهـرت
مشاعـري في جهنّـم الألـم
لـم يسمـع الدّهرُ مثل قسْوتهـا
في يقظـة قَـطُّ ، لا ، ولا حلُـم

كـآبتي شُعلـةٌ مـؤجّجة ،
تحت رمـاد الكـون تستعِـر
سيعلـم الكـونُ مـا حقيقتهـا
ويطلـع الفجـر يـوم تنفجـر

***

كـآبـةُ النـاس شعلـةٌ ، ومتى
مـرّت ليـال خبت مـع الأمـد
أمّـا اكـتئابـي فلوعةٌ ، سكنت
روحـي ، وتبقـى بهـا إلى الأبـد

27 محرم 1345
7 اوت 1926

شكوى اليتيم

على ساحل البحر ، أنى يضجُّ   صراخُ الصباحِ ونوحُ المسا
تنهَّدتُ من مهجةٍ أترعت   بدمع الشقاء وشوْك الأسى
فضاع التنهّدُ في الضجّةِ
بما في ثناياه من لوْعة
فسرتُ وناديتُ : « يا أمُّ ! هيّا
إليّ ! فقد سئمتني الحياة »

وجئت إلى الغاب ، أسكبُ أوجاعَ قلبي نحيبا ، كلفْح اللّهيب
نحيبا تَدافع في مهجتي ، وسالَ يَرنُّ بندب القلوب
فلم يفْهم الغابُ أشجانَهُ

وظلّ يُرَدِّد ألحانَهُ
فسرتُ وناديْتُ : يا أمُّ هيّا
إليّ ! فقد عذبتني الحياة

وقمتُ على النّهر ، أهْرِق دمعاً تفجّر من فيضِ حزْنِي الأليمْ
يسيرُ بصَمتٍ على وجْنتيّ ويلمع مثل دموع الجحيم
. فما خفّف النهرُ من عدْوِه
ولا سكت النهرُ عن شدْوِه
فسرتُ ، وناديتُ : « يا أمّ ! هيّا
إليّ ! فقد أضجرتني الحياة »

⁂

ولمّا ندبتُ ولم ينفعِ
وناديْتُ أمّي فلم تسمعِ
رجعتُ بحزني إلى وحدتي
وردّدْتُ نَوحِي على مسمعي
وعانقتُ في وحدتي لوْعتي
وقلت لنفسِي : «ألا فاسكتي !»

21 صفر 1345
31 اوت 1926

الزنبقة الذاوية

أزَنْبقَةَ السفْح ؟ مالي أراكِ   تعـانقكِ اللـوعـةُ القـاسيهْ ؟
أفي قلبكِ الغضِّ صوتُ اللهيب ،   يـرتِّـلُ أنشـودة الهـاويهْ ؟
أأسمعـكِ الليـلُ نـدبَ القلوب   أأرشفكِ الفجرُ كـأسَ الأسى ؟
أصبَّ عليك شعاعُ الغروب   نجيـعَ الحيـاة ، ودمـعَ المسـا
أأوقفكِ الدهرُ حيث يُفجِّـ   ـرُ نوحُ الحياة صُدوعَ الصدورْ ؟
وَيَنبَثِقُ الليل طيفا ، كئيبا   رهيبا ، ويخفقُ حزنُ الدهورْ ؟

***

إذا أضجرتكِ أغاني الظلام فقد عـذّبتني أغاني الوجومْ
وإن هجرتكِ بناتُ الغيوم ، فقد عـانقتني بنـات الجحيـم
وإن سكب الدهر في مِسمعيْكِ نحيبَ الدجى ، وأنينَ الأملْ
فقد أجّج الدهر في مهجتي شُواظـا من الحَزَنِ المشتعـل
وإن أرشفتْكِ شفـاهُ الحيـاة رُضابَ الأسى ، ورحيقَ الألمْ
فـإنِّي تجـرّعتُ مـن كـفـِّهـا كُؤوسا مؤجَّجَةً ، تضطرم

***

أصيخي ! فما بين أعشار قلبي يرِفّ صدى نوحكِ الخافت
معيـدا على مهجتي بحفيف جنـاحيه صوتَ الأسى المـائـت
وقد أترع الليلُ بالحبّ كأسي وشعشهـا بلهيب الحيـاة
وجـرّعنـي مـن ثُمـالاتِـه مرارةَ حـزنٍ ، تُذيب الصَّفـاة
إلـيّ ! فقد وحّـدتْ بيننـا قساوةُ هذا الـزمان الظلـومْ
فقد فجّرتْ فـيّ هذِي الـكلومَ كما فجّرت فيكِ تلك الـكلوم

***

وإن جرفتني أكفُّ المنـون إلى اللحْد أو سحقتكِ الخطوبْ
فحـزني وحزنكِ لا يبرحانِ أليفيْنِ رغم الزمان العصيب

وتحتَ رواق الظلام الكـئيب إذا شمل الكـونَ روحُ السحَـرْ
سيُسمَع صوتٌ ، كلحن شجيٍّ تطـايرَ من خفَقَات الـوتـر
يـردِّدُه حـُزنُنا في سكون على قبرنا الصامتِ المطمئنْ
فنرقُد تحت التراب الأصمِّ جميعـا عـلى نغمات الحـزَنْ

9 جمادى الاولى 1345

15 نوفمبر 1926

يا شِعْر

يا شعرُ أنْتَ فمُ الشعور ، وصرخةُ الروح الكئيبْ
يا شعر أنت صدى نحيب القلب ، والصّب الغريب

*
* *

يا شعر أنت مدامعٌ علِقتْ بأهداب الحياةْ
يا شعر أنت دمٌ ، تفجّر من كلوم الكائنات

*
* *

يا شعر ! قلبي — مثلما تدري — شقيٌّ ، مظلمُ
فيه الجراحُ النجْلُ ، يقطر من مغاورها الدمُ

*
* *

جمدت على شفتيه أرزاءُ الحياة العابسهْ
فهو التعيسُ ، يُذيبه نوحُ القلوب البائسه

*

أبدا ينوح بحرقةٍ ، بين الأماني الهاويه
كالبلبل الغرِّيد ما بين الزهور الذاويه

*

كمْ قد نصحتُ له بأن يسلو ، وكمْ عزّيتُه
فأبى ، وما أصغى إلى قولي ، فما أجْديته

*

كم قلت : « صبرا يا فؤادُ ! ألا تَكُفُّ عن النحيبْ ؟ »
« فإذا تجلّدتِ الحياةُ تبدّدتْ شُعَلُ اللهيب »

*

« يا قلب ! لا تجزع أمامَ تصلُّبِ الدهر الهصورْ »
« فإذا صرختَ توجُّعا هزأتْ بصرختكَ الدهورْ »

*

« يا قلب ! لا تسخط على الأيام ، فالزهر البديعْ »
« يصغي لضجّات العواصف قبل أنغام الربيع »

*

« يا قلب ! لا تقنعْ بشوك اليأس من بين الزهورْ »
« فوراءَ أوجاع الحياة عذوبةُ الأمل الجسور »

***

« يا قلب ! لا تسكبْ دموعَكَ بالفضاء فتندمِ »
« فعلى ابتسامات الفضاء قساوةُ المتهكّمِ »

***

لكنّ قلبي وهو – مُخْضلٌ الجوانب بالدموعْ –
جاشتْ به الأحزانُ ، إذ طفحت بها تلك الصدوع

***

يبكي على الحلم البعيد بلوعةٍ ، لا تنجلي
غرِدا ، كصَدّاح الهواتف في الفلا ، ويقول لي :

***

« طهّرْ كلومكَ بالدموع ، وخلّها وسبيلَها »
« إن المدامع لا تُضيع حقيرها وجليلها »

***

« فَمِنَ المدامع ما تدفّعَ جارفا حَسَكَ الحياهْ »
« يرْمي لهاوية الوجود بكل ما يبني الطغاهْ »

***

« ومن المدامع ما تألّق في الغياهب كالنجومْ »
« ومن المدامع ما أراح النفس من عبء الهموم »

***

فارحَم تعاسته ، ونُحْ معه على أحلامِهِ
فلقد قضى الحلمُ البديعُ على لظى آلامِهِ

***

يا شعر ! يا وحْيَ الوجودِ الحيَّ ! يا لُغَةَ الملائكْ
غرِّدْ ، فأيَّامِي أنا تبْكِي على إيقاع نايلكْ

***

ردِّدْ على سمع الدجى أنّاتِ قلبي الواهيهْ
واسكب بأجفان الزهور دموعَ قلبي الداميهْ

***

فلعلّ قلب الليل أرحم بالقلوب الباكيةْ
ولعلّ جفنَ الزهر أحفظُ للدموع الجاريهْ

***

كم حرّكت كفُّ الأسى أوتارَ ذيّاك الحنينْ
فتهاملتْ أحزانُ قلبي في أغاريد الأنين

***

فَلَكَمْ أرَقْتُ مدامعي ، حتى تقرّحتِ الجفونْ
ثمّ التفتّ ، فلم أجد قلبا يقاسمني الشجون

***

فعسى يكون الليل أرحمَ ، فهو مثلي يندبُ
وعسى يصون الزهرُ دمعي ، فهو مثلي يسكب

**

قد قنّعتْ كفُّ المساء الموتَ بالصّمت الرهيبْ ،
فغدا كأعماق الكهوف ، بلا ضجيج أو وجيب

***

يأتي بأجنحة السكون ، كأنه الليل البهيمْ
لكنّ طيفَ الموت قاسٍ ، والدجى طيفٌ رحيم

***

ما للمنيّة لا ترقُّ على الحياة النائحه ؟
سِيَّان أفئدةٌ تئنّ ، أو القلوب الصادحه

***

يا شِعرُ ! هل خُلِقَ المَنون بلا شعورٍ كالجمادْ ؟
لا رعشة تعرو يدَيْه إذا تملّقَه الفؤاد ؟

***

أرأيتَ أزهـارَ الـربيـع ، وقـد ذوتْ أوراقهـــا
فهـوت إلى صـدر التـراب ، وقد قضت أشواقـُها ؟

*
* *

أرأيت شحـرورَ الفــلا ، متـرنّمـا بيـن الغصـونْ
جمـد النشيـدُ بصـدره ، لمـّا رأى طيفَ المنون ؟

*
* *

فقضى ، وقد غـاضت أغاريـدُ الحـياة الطـاهره
وهـوى مـن الأغصـان ، ما بيـن الزهور البـاسره ؟

*
* *

أرأيتَ أمَّ الطفل تبـكي ذلك الطفلَ الـوحيـدْ
لمّا تنـاولـه بعنـفٍ ساعـدُ المـوت الشـديـد ؟

*
* *

أسمعتُ نَـوْحَ العـاشق الولهـانِ ، مـا بين القبـورْ
يبـكي حبيبتَه ؟ فيـا لِمصَارع الموت الجسور !

*
* *

طفحـتْ بـأعمـاق الـوجود سكـينـةُ الصبـر الجليـدْ
لمـّا رأى عدل الحيـاة يضمـّـه اللحــدُ الـكنود

*
* *

فتدفّقتْ لحنــا ، يــردّده علـى سمـع الـدهــورْ
صوتُ الحيـاة بضجـة . . ، تسعى على شفـة البحور

***

يا شعرُ ! أنتَ نشيـدُ أمواج الخضـمّ الساحرةْ
النـاصعـات ، البـاسمـات ، الـراقصات ، الطـاهـرهْ

***

السافـرات ، الصادحـات مـع الحياة إلى الأبــدْ ؟
كعـرائس الأمل الضحوك ، يَمِسْنَ ما طال الأمَد

***

هـا إنّ أزهـارَ الـربيـع تبسّمتْ أكمامُهـا
ترنـو إلى الشّفَق البعيـدِ ، تغُـرُّهـا أحلامُهـا

***

في صـدرهـا أمـلٌ ، يحـدّق نحو هاتيك النجـومْ
لـكـنّـه أمـلٌ ، ستلحـده جبابـرةُ الوجـوم

***

فلسوف تغمـض جفنها عن كـلّ أضـواء الحيـاةْ
حيث الظـلام مُخَيِّـمٌ في جـوِّ ذيّاك السبـات

***

ها إنّها همست بآذان الحياة غريدَها
قتلتْ عصافيرُ الصباح صُداحَها ونشيدَها

*
* *

يا شعرُ ! أنت نشيد هاتيك الزهور الباسمهْ
يا ليتني مثلُ الزهور ، بلا حياة واجمه

*
* *

إن الحياة كئيبةٌ ، مغمورة بدموعها ! !
والشمسُ أضجرها الأسى ، في صحوها وهجوعها

*
* *

فتجرّعت كأسا دِهاقا من مُشَعشَة الشّفَقْ
فتمايلتْ ، سَكرى إلى كهف الحياة . ولم تُفِق

*
* *

يا شعرُ ! أنتَ نحيبها لمّا هَوَتْ لسُباتها
يا شعرُ ، أنتَ صُداحها . في موتها وحياتها

*
* *

أنظرْ إلى شفق السماء ، يفيض عن تلك الجبالْ
بشعاعه الخلاّب ، يغمرها ببسمات الجمال

*
* *

فيثير في النفس الكئيبة عاصفا لا يركدُ
ويؤجِّج القلبَ المعذَّبَ شعلةً لا تخمد

***

يا شعرُ ! أنت جمال أضواء الغروب الساحره
يا همسَ أمواج المساء الباسماتِ الحائره

***

يا نايَ أحلامي الحبيبةِ ! يا رفيقَ صَبابتي
لولاكَ متُّ بلوعتي ، وبشقوتي ، وكآبتي

***

فيكَ انطوتْ نفسي ، وفيكَ نفختُ كلَّ مشاعري
فاصدحْ على قمم الحياة بلوعتي ، يا طائري

14 رجب 1345
18 جانفى 1927

الى الطاغية

يقولون : « صوت المستذَلِّين خافتٌ
وسمع طغاة الأرض [أطرشُ] أضخمُ »

وفي صيْحة الشعب المسخَّر زعزعٌ
تَخِرُّ لها شُمُّ العروش ، وتُهْدَمُ

ولَعْلَعَةُ الحقّ الغَضوب لها صدى
ودمدمة الحرب الضروس لها فمُ

إذا التفّ حول الحقّ قوم فإنّه
يصرِّمُ أحداثَ الزّمان ويُبْرم

***

لك الويل يا صَرْحَ المظالم من غدٍ
إذا نهض المستضعفون ، وصمّموا !

إذا حطَّم المستعبَدون قيودَهم
وصبُّوا حميم السخط أيَّان تعلم . . !

أغرّك أن الشعب مُغْضٍ على قذى
وأنّ الفضاء الرّحْبَ وسنانُ ، مظلم ؟

ألا إنّ أحلامَ البلاد دفينـةٌ تجمجم في أعماقها ما تجمجم
ولكن سيأتي بعد لأْيٍ نشورها وينبثق اليوم الذي يترنّم
هو الحق يُغفي ... ثمّ ينهض ساخطا فيهدمُ ما شاد الظِّلام [1]، ويحطمُ
غدا الرّوْع، إن هبّ الضعيفُ بيأسه، ستعلم مَن مِنّا سيجرفه الدّمُ
إلى حيث تجني كفُّه بذرَ أمْسِهِ ومُزدَرِعُ الأوجاعِ لا بُدَّ يندم
ستجرع أوصابَ الحياة ، وتنتشي فتصغي إلى الحق الذي يتكلم
إذا ما سقاك الدهر من كأسه التي قرارتها صابٌ مَرِيرٌ ، وعلقم
إذا صعق الجبّار تحت قيوده يصيخ لأوجاع الحياة ويفهم ! !

15 شعبان 1345
18 فيفرى 1927

---

(1) الظلام بكسر الظاء : الظلم

السأمة

سئمتُ الحياة ، وما في الحياة وما إن تجاوزْتُ فجرَ الشبابْ
سئمتُ الليالي ، وأوجاعَها وما شعشَعتْ من رحيق بِصاب
فحطّمتُ كأسِي ، وألقيتُها بوادي الأسى وجحيم العذاب
فأنّتْ ، وقد غمرتْها الدموع وقرّتْ ، وقد فاض منها الحَباب
وألقى عليها الأسى ثوبَه وأقبرَها الصمتُ والاكتئاب

***

فأين الأماني وألحانُها ؟ وأين الكؤوس ؟ وأين الشراب
لقد سحقتْها أكفُّ الظلام وقد رشفتْها شفاهُ السراب

***

فما العيش في حومةٍ بأسُها شديدٌ ، وصدّاحها لا يُجاب
كئيبٌ ، وحيدٌ بآلامه وأحلامه ، شدْوُهُ الانتحاب
ذوتْ في الربيع أزاهيرها فنِمْنَ ، وقد مصّهُنّ التّرابْ
لَوَيْنَ النّحورَ على ذِلّةٍ ومُتْن ، وأحلامَهن العذاب
فحالَ الجمالُ ، وغاض العبيرُ وأذْوى الرّدَى سحرَهُنّ العُجاب

15 رمضان 1345

19 مارس 1927

أغنية الأحزان

غنّني أنشودةَ الفجر الضحّوكْ
أيها الصدّاحْ !
فلقد جرّعني صوتُ الظلام
ألمًا علّمني كرهَ الحياة
إن قلبي ملَّ أصداء النواحْ
غنّني ، يا صاحْ !

***

حطّمت كفُّ الأسى قيثارتي
في يد الأحلامْ

فقضت صَمتا أناشيدُ الغرامْ
بين أزهار الخريف الذاويهْ
وتلاشت في سكون الاكتئابْ
كصدى الغرِّيدْ

*
* *

كُفَّ عن تلك الأغاني الباسمهْ
أيها العصفورْ !
فحياتي ألِفَتْ لحنَ الأسى
من زمان قد تقضَّى ، وعَسَى
أن يثير الشَّدوُ ، في صمت الفؤادْ
أنّةَ الأوتارْ . . . !

*
* *

لا تغنّيني أغاريد الصباحْ
بلبلَ الأفراح !
ففؤادي ، وهو مغمور الجراح
بتباريح الحياة الباكية
ليس تستهويهِ ألحان السرورْ
وأغاني النورْ

*
* *

إنَّ مَنْ أصغى إلى صوت المَنونْ
وصــــدى الأجــــداث
ليس تستهويه ألحانُ الطيورْ
بين أزهارِ الربيع الساحرهْ
وابتسامات الحياة ، السافرهْ
عن جــلال الله !

***

غنِّني يا صاحِ ، أنّاتِ الجحيمْ
واسقنــــي الآلامْ
أترِع الكأسَ بأوجاع الهموم
واسقني . إنّي كرهتُ الابتسام
غنِّني ندبَ الأماني الخائبهْ
والليــــالي الســــودْ

***

غنِّني صوت الظلام المكتئبْ
إنّــــني أهــــواهْ
هاكَ كأس القلب فاملأها نُواح
واسكب الحُزنَ بها حتّى الصباحْ !

إنها من طينة الحزن المَريرْ
صاغها الخَلّاقْ

***

بئستِ الأفراحُ . أفراح الحياةْ
إنها أحلامْ
تخلب اللبّ بألحانٍ عِذابْ
وأغاريدَ . كأملاك السما
ثم لا تلبث أن تذوِيَ كما
تذبل الأزهارْ

***

خبّريني . ما الذي خلف الغيومْ... ؟
ربةَ الأحلامْ
أفتى الهولِ . وجبّار الهموم ؟
أم عروسُ الأملِ العذبِ الشرودْ
تتهادى بين لألاء الصباحْ ؟
كمَلاك النورْ

***

أنا في درب الحياة الغامضه
تائهٌ ، حيرانْ

بينما أبصر في وجه الحياةْ
ظلمةَ الأحزانِ في ظلّ الألمْ
إذ أرى في جفنها نورا ، بديعْ
باسما ، فتّانْ

***

ها أنا أسمع في قلب الحياة
صيحةَ الآلامْ
مُرّةً تنساب من قلب حطيم
ملأ الحزنُ أقاصيه دموعْ
ها أنا أسمع أصوات السرور
كَضَّت الأيّام

23 شوال 1345
26 افريل 1927

الدموع

ينقضي العيش بين شوق ويأسٍ   والمنى بين لوعة وتـأسِّ
هذه سُنّةُ الحياة . ونفسي   لا تودُّ الرحيق في كأس رِجس
مُليء الدهر بالخداع ، فكم قد   ضلَّلَ النـاسَ من إمام وقَسِّ
كلّما أسأل الحياة عن الحقّ   تكفُّ الحياةُ عن كلّ همْسٍ
لم أجد في الحياة لحنا بديعا   يستبيني سوى سكينة نفسي
فسئمت الحياةَ ، إلاّ غرارا   تتلاشى به أناشيدُ يأسي

***

ناولتني الحياة كأسا دِهاقا بالأماني ، فما تناولتُ كأسي
وسقتني من التعاسة أكوابا تجرّعتُها ، فيا شدَّ تعسي !
إنّ في روضة الحياة لأشواكا بها مُزِّقت زنابق نفسي

***

ضاع أمْسي وأين منّيَ أمسي ؟ وقضى الدهرُ أن أعيش بيأسي ؟
وقضى الحبُّ في سكون مريعٍ ساعةَ الموت بين سخط وبؤس
لم تُخَلِّفْ ليَ الحياة من الأمس سوى لوعةٍ ، تهبُّ وترسي
تتهادى ما بين غصّات قلبي بسكونٍ وبين أوجاع نفسي
كخيال من عالم الموت ، ينساب بصمتٍ ما بين رمْسٍ ورمْس
تلك أوجاعُ مهجةٍ ، عذّبتْها في جحيم الحياة أطيافُ نحس

19 ذو الحجة 1345

20 جوان 1927

أيها الليل

أيها الليل ! يا أبا البؤس والهَوْ ... لِ ! يا هيكل الحياة الرهيبِ !
فيك تجثو عرائس الأمل العذ ... ب . تُصلّي بصوتها المحبوب
فيُثير النّشيدُ ذكرى حياة ... حجبتها غيومُ دهر كئيب
وترفّ الشجون من حول قلبي ... بسكون ، وهيبة ، وقطوب
أنت يا ليل ! ذرّةٌ ، صعدت للـكون . من موطيء الجحيم الغضوب
أيها الليل ! أنت نغْم شجيٌّ ... في شفاه الدهور ، بين النحيب
إنّ أنشودة السكون ، التي ترتجّ ... في صدرك الرّكود ، الرحيب
تُسمِع النفسَ ، في هدوء الأماني ... رنّةَ الحقّ ، والجمال الخَلُوب
فتصوغ القلوبُ ، منها أغاريدا ، ... تهزّ الحياة هزّ الخطوب
تتلوّى الحياة ، من ألم البؤ ... س ، فتبكي ، بلوعة ونحيب

وعلى مِسمعَيْك ، تنهلّ نوحا وعويلا مُرّا . شجونُ القلوب
فأرى برقعا شفيفا ، من الأو جاع ، يُلقي عليكَ شجوَ الكئيب
وأرى في السكون أجنحة الجبّـــــار ، مخضّلةً بدمع حَبيبِ
فلكَ الله ! من فؤاد رحيم ولكَ الله ! من فؤاد كئيب
يهجع الكون . في طمأنينة العصـــفور . طفلا بصدركَ الغربيب
وبأحضانك الرحيمة يستيقظ . في نَضْرَةِ الضحوك . الطروب
شاديا . كالطيور بالأمل العذ ب . جذلاً . كبهجة الشؤبوب
يا ظلام الحياة ! يا روعةَ الحز ن ! ويا مِعزفَ التعيس الغريب
إنّ في قلبكَ الكئيبِ . لمرتادا لأحلام كلّ قلب كئيب
وبقيثارة السكينة . في كفّيْـــــكَ . تنهلّ رنّةُ المكروب
فيك تنمو زنابق الحُلُم العذ ب . وتذوي لدى لهيب الخطوب
خلْف أعماقك الكئيبة تنسا ب ظِلال الدهور . ذاتَ قطوب
وبفَوْديك . في ضفائرك السـ ـــودِ . تدبُّ الأيامُ أيَّ دَبيبِ

***

صاحِ ! إن الحياة أنشودة الحز ن . فرتّلْ على الحياة نحيبي
إنّ كأس الحياة مترعة بالدمـــع . فاسكبْ على الصباح حبيبي
إنّ وادي الظلام يطفح بالهو ل . فما أبعد ابتسام القلوب !

لا يغُرّنّك ابتسام بني الأر ض فخلف الشعاع لذعُ اللهيب
أنت تدري أن الحياة قطو ب وخطوب، فما حياة القطوب ؟
إنّ في غيبة الدهور تباعا لخَطيب يمرّ إثر خطيب

*
* *

سَدّدَتْ في سكينة الكون، للأعما ق، نفسي لحظا بعيدَ الرُّسوب
نظرةٌ مزّقت شغاف الليا لي فرأت مهجة الظلام الهَيوب
ورأت في صميمها، لوعة الحز ن، وأصغت إلى صُراخ القلوب
لا تحاولْ أن تنكر الشجو، إني قد خبرت الحياة خبر لبيب
فتبرّمتُ بالسكينة والضجّة، بل قد كرهتُ فيها نصيبي...
كن كما شاءت السماء كئيبا أيُّ شيءٍ يسرّ نفس الأريب ؟
أنفوسٌ تموت، شاخصةً بالهو ل، في ظلمة القنوط العصيب ؟
أم قلوب محطات على ساحل لُجّ الأسى، بموج الخطوب ؟
إنما الناس في الحياة طيورٌ قد رماها القضا بوادٍ رهيب
يعصف الهولُ في جوانبه السو د فيقضي على صَدَى العندليب

*
* *

قد سألتُ الحياة عن نغمة الفجر، وعن وَجْمة المساء القَطوب
فسمعتُ الحياة، في هيكل الأحزا ن، تشدو بلحنها المحبوب

ما سكوتُ السماء إلّا وجومٌ   ما نشيد الصباح غير نحيب
ليس في الدهر طائرٌ يتغنّى   في ضفاف الحياة غيرَ كئيب
خضّبَ الاكتئابُ أجنحة الأيا   م ، بالدمع ، والدم الأُسكوب
وعجيبٌ أن يفرح الناس في كـ   ـهف الليالي ، بحزنها المشبوب !

***

كنت أرنو إلى الحياة بلحظٍ   باسم ، والرجاءُ دون لغوب
ذاك عهد حسبته بسمة الـ   ـفجر ، ولكنّه شعاع الغروب
ذاك عهد ، كأنّه رنّة الأفرا   ح ، تنساب من فم العندليب
خُفِّفَتْ ــ ريثما أصختُ لها بالقلـ   ـب ، حينا ــ وبُدِّلَتْ بنحيب
إنّ خمر الحياة وردية اللو   ن ، ولكنّها سِمام القلوب

***

جرفتْ من قرارة القلب أحلا   مي، إلى اللحد، جائراتُ الخطوب
فتلاشت على تُخوم الليالي   وتهاوت إلى الجحيم الغضوب
وثوى في دُجُنَّة النفس ، ومضٌ   لم يزل بين جَيْئَةٍ ، وذُهوب
ذِكريات تميس في ظُلمة النفـ   ـس ، ضئالا ، كرائعات المشيب

***

يا لقلب تجرّع اللوعـةَ المرّ ة من جدول الزمان الرهيب !
ومضت في صميمه شُعْلَةُ الحز ن، فَعَشَّتْهُ من شماع اللهيب...

23 ذو الحجة 1345

24 جوان 1927

المجدُ

يودُّ الفتى لو خاض عاصفة الردى ... وصدَّ الخميسَ المَجْرَ والأسَدَ الوَرْدَا
ليدرك أمجاد الحروب ، ولو درى ... حقيقَتَها ما رام مِن بيْنها مجْدَا
فما المجْدُ في أن تُسكِرَ الأرض بالدِّما ... وتركبَ في هيجائها فرَسا نهْدَا
ولكنّه في أن تصدَّ بهمَّةٍ ... عن العالم المرزوءِ ، فيْضَ الأسى صدَّا

2 صفر 1346
غرة اوت 1927

الحُبّ

الحبُّ شعلة نورٍ ساحرٍ ، هبطتْ — من السماء ، فكانتْ ساطعَ الفلَقِ

ومزّقت عن جفون الدّهر أغشيَةً — وعن وجوه الليالي بُرقُعَ الغسق

الحبّ روحٌ إلهيٌّ ، مجنّحةٌ — أيّامُه بضياء الفجر والشّفق

يطوف في هذه الدنيا ، فيجعلها — نجْما ، جميلاً ، ضحوكا ، جِدَّ مؤتلق

لولاه ما سُمِعتْ في الكون أغنيةٌ — ولا تآلفَ في الدنيا بَنُو أفُقِ

الحبُّ جدولُ خمرٍ ، مَن تذوّقه — خاض الجحيمَ ، ولم يُشْفِق من الحرق

الحبُّ غاية آمال الحياة ، فما — خوْفي إذا ضمّني قبري ؟ وما فَرَقي ؟

29 صفر 1346

28 اوت 1927

جدول الحبّ

بين الأمس واليوم

بالأمس قد كانت حياتي كالسماء الباسمه
واليومَ ، قد أمست كأعماق الكهوف الواجمه
قد كان لي ما بين أحلامي الجميلةِ جدولُ
يجري به ماء المحبّة طاهرا ، يتسلسلُ
تسعى به الأمواجُ باسمةً كأحلام الصِّبا ،
بيضاء ، ناصعةً ضحوكاً مثل أزهار الرُّبى
ميّاسةً كعرائس الفردوس بين حقولِه

تتلو أناشيد المُنى في مَدِّه وقُفوله

***

هُوَ جَدْوَلُ الحبّ الذي قد كان في قلبي الخَضِلْ
بمراشف الأحلام منطلقا ، يسير على مَهَلْ
يتلو على سمعي أغاريدَ الحياة الطاهرهْ
ويُثير في قلبي أناشيدَ الخلود الساحرهْ
تقف العذارى الخالداتُ ... عرائس الشعرِ البديعْ
في ضفّتَيْه ، مُردِّداتٍ نغمةَ الحلُم الوديعْ
يلمسن من قَيثارة الأحلام أوتار الغزلْ
فتفيض ألحانُ الصبابة عذبةً ، مثل الأمل
وتطير بالبَسَمات والأنغام أجنحةُ الصدى
في ذلك الأفُق الجميل ، وذلك النّسَم الرُّخا
وهناك ، حيث تُعانق البسماتُ أنغامَ الغزل
يتمايل الحلمُ الجميل ... كبسمة القلب الثّمِل

***

هُوَ جدولٌ ، قد فجّرتْ يَنبوعَه في مهجتي
أجفانُ فاتنة أَرَتْنِيهَا الحياة لشقوتي

أجفان فاتنةٍ تراءتْ لي على فجر الشّبابْ
كعروسة من غانيات الشعر ، في شَفَق الحساب
ثمّ اختفت خلف السماء ، وراء هاتيك الغيوم
حيث العذارى الخالداتُ ، يمِسْنَ ما بين النجومْ
ثم اختفت أوّاه ! طائرةً بأجنحة المنونْ
نحو السماء ، وها أنا في الأرض تمثال الشجون
قد كان ذلك كلّه بالأمس ! بالأمس البعيدْ ...
والأمس قد جرفته مقهورا يدُ الموت العتيد
قد كان ذلك تحت ظلّ الأمس ، والماضي الجميلْ
قد كان ذلك في شعاع البدر من قبل الأفول
واليوم إذ زالت ظلال الأمس عن زَهَري البديعْ
وتَجَلْبَبَ الزّهرُ الجميلُ بظُلمة الليل المريع
ذبلت مراشفُه ، فأصبح ذاويا ، نِضْوَ الكلومْ
وهوى لأنّ الليل أسمعه أناشيد الوجوم . . .

***

بالأمس قد كانت حياتي كالسماء الباسمهْ
واليوم قد أمست كأعماق الكهوف الواجمهْ

***

إذْ أصبح النبع الجميل يسير في وادي الألمْ
متعثّرا بين الصخور . يغور في تلك الظُّلَم
جَفَّتْ به أمواجُ ذيّاك الغرام الآفِلِ
فتدفّقتْ فيه الدموعُ بصَوبها المتهاطل
قد حجَّبته غيومُ أحزان الوجود القاتمهْ
قد أخرسته مرارةُ القلب التعيس الظالمه
جَمدتْ على شفتيه أنغام الصبابة والهوى
وقضتْ أغاني الحبّ . في أعماقه ، لمّا هوى
وعدت به الأمواجُ ، جامدةَ الملامح ، قاتمه
قد أسكَتَتْها لوعة الرُّوح الحزين الواجمهْ
غاضت أمانيها ، وغار بها الجمال الساحرُ
فأصابها — لَهَفًا عليه — الإكتئابُ الكافرُ
في ضِفَتَيْه عرائسُ الأشعار تنصبُ مأتما
يُهرقن فيه الدمعَ ، حتى يلطم الدمعُ الدّما
فيسيل ذاك المدمعُ الدّامي لقلب الجدولِ
حيث المرارةُ ، والأسى ، بين الزهور الذُّبَّل
وينُحن حتّى يُفْعِمَ الأفاقَ صوتُ الآنتحابْ

فتسيـر أصـداءُ النّيـاحة نحو أطباق الضّبـاب
وهناك ما بين الضّباب الأقتم الساجـي الكـئيبْ
تهتـزُّ آلامي ، وتختلج الكـآبةُ بالنّحيب

2 ربيع الاول 1346

30 اوت 1927

سِرْ مَعَ الدهر

سر مع الدهر ، لا تصدَّنَّك الأهوال ، أو تُفْزِعَنَّكَ الأحداثُ
سر مع الدهر ، كيفما شاءت الدنيا ، ولا يخدعنَّك النفَّاث
فالذي يرهبُ الحياةَ شقيٌّ ، سخرتْ من مصيره الأجداث

10 ربيع الاول 1346
7 سبتمبر 1927

الذكرى

كنّا كزوجيْ طائر ، في دوْحة الحبّ الأمينْ

نتلو أناشيدَ المنى بين الخمائل والغصون

متغرِّدَيْن مع البلابل في السهول وفي الحزون

مَلأ الهوى كأس الحياة لنا ، وشعشعها الفُتون

حتّى إذا كدنا نُرشِّفُ خمرها ، غضب المنون

فتخطّف الكأسَ الخَلوبَ ، وحطّم الجام الثمين

وأراق خمر الحبّ في وادي الكآبة والأنين

وأهاب بالْحبِّ الوديع ، فودّع العُشّ الأمين

وشدا بلحن الموتِ في الأفُق الحزين المستكين
ثمّ اختفى خلف الغيوم ، كأنّه الطيف الحزين . . .

***

يا أيها القلب الشجيّ ! إلام تخرسك الشجون
رحماكَ قد عذّبتني بالصّمت والدمع الهتون
مات الحبيب ، وكلُّ ما قد كنتَ ترجو أن يكون !
فاصبرْ على سخط الزّمان ، وما تصرِّفه الشؤون
فلَسَوْفَ يُنقذك المنونُ ، ويفرح الروح السجين...

***

وِرْدُ الحياة مُرَنَّقٌ ، والموت مورده مَعين
ولربّما شاق الرّدى الداجي ، وأعماقُ المنون
قلبا ، تروِّعه الحياة ، ولا تُهادنه السِّنون
ومشاعرا حسْرَى ، يسيرُ بها القنوط إلى الجنون

29 جمادى الاولى 1346
24 نوفمبر 1927

الطفولة

لله ما أحلى الطفولة ! إنّها حلم الحياة
عهدٌ كمعسول الرؤى ما بين أجنحة السّبات...
ترنو إلى الدنيا ، وما فيها بعين باسمه
وتسير في عَدَوَاتِ واديها بنفس حالمه...

*

إنّ الطفولة تهتزُ في قلب الربيع
ريّانةٌ من ريّق الأنداء في الفجر الوديع

غنّت لها الدنيا أغاني حبّها وحبورها
فتأوّدت نَشوى بأحلام الحياة ونورها

***

إنّ الطفولة حقبةٌ شعريّةٌ بشعورها
ودموعها ، وسرورها ، وطموحها ، وغرورها
لم تمش في دنيا الكآبةِ ، والتعاسة ، والعذابْ
فترى على أضوائها ما في الحقيقة من كِذاب

12 رجب 1346
5 جانفي 1928

قال الأيام

يا أيها السادر في غَيِّه !
يا واقفا فوق حطام الجباه !
مهلاً ! ففي أنّات من دستَهم
صوتٌ رهيبٌ سوف يدوي صداه . . .

*

لا تأمننّ الدهر ، إمّا غفا
في كهفه الداجي ، وطالت رُؤاه

فـإن قضى اليـومُ ومـا قبلـــه
ففـي الغـد الحـيِّ صباحُ الحيـاهْ

***

يـا أيهـا الجبـار ! لا تـــزدري
فـالحق جبّـــارٌ ، طـويـــل الأنـــاهْ
يغفـي ، وفي أجفـــانـه يقْظـــةٌ
تـرنـو إلى الفجـر الـذي لا تـــراهْ...

15 رجب 1346
8 جانفى 1928

المساء الحزين

أظلّ الوجودَ المساءُ الحزينْ ، وفي كفّه مِعزف لا يُبينْ
وفي ثَغره بسمات الشجون ، وفي طرفه حسرات السِّنينْ
وفي صدره لوعة لا تَقِرُّ ، وفي قلبه صعقات المنون
وقبّله قُبَلاً صامتاتٍ ، كما يلثمُ الموتُ وَرْدَ الغصون
وأفضى إليه بوحي النجوم ، وسرّ الظلام ، ولحن السكون
وأوْحى إليْه مزاميرَه ، فغنَّتْ بها في الظلام الحَزُون
وعلّمه كيف تأسَى النفوس ، ويقضي يُؤوسا لديها الحنين
وأسمعه صرخاتِ القلوب ، وأنهله من سُلاف الشؤون

فـأغفـى على صـدره المطمئنّ ، وفي رُوحه حُلْـمٌ مستـكين
قويٌ ، غلوبٌ ، كسحر الجفون ، شجـيٌّ ، لعوبٌ ، كزهر حزين
ضحوكٌ ، وقـد بلـّلتـه الدموع ، طروبٌ ، وقد ظَلـّلتْه الشجـون
تعـانقـه سكـرات الهـوى . وتحضُنه شهقـات الأنيـن
يشابـهُ رُوحَ الشباب الجميل إذا ما تـألَّق بينَ الجفون
أعـاد لنفسـي خيـالاً جميـلاً . . . لقد حجبته صروف السنيـن
فطـافت بها هَجَسَاتُ الأسـى ، وعادت لها خطوات الجنون

***

أظـلَّ الفضـاءَ جنـاحُ الغروب ، فألقى عليه جمالا كـئيبْ
وألبسه حلـّةً من جلالٍ . شجـيٍّ ، قويٍّ جميلٍ ، غلوبْ
فنامت على العُشب تلك الزهورُ لمرأى المساء الحزين الرهيب
وآبـت طيـورُ الفضاء الجميل لأوكارها ، فرِحاتِ القلوب
وقد أضرمت بـأغـاريدها خيـالَ السمـاء الفسيـح الـرحيب
وولّـى رعاةُ السَّوامِ إلى الحـيِّ يزجونها في صُمات الغروب
فتَثْغُو ، حنينًا لحُملانها ، وتقطفُ زهْرَ المروج الخصيب
وهم ينشدون أهـازيجهم بصوت ، بهيـجٍ ، فـرُوحٍ ، طروب
ويَسْتَمْنِحُونَ مزاميرهم ، فتمنحهم كلَّ لحنٍ عجيب

تطيـر بـه نسماتُ الغـروب إلى الشّفَـق المستطيـر الخلَوب
وتوحـي لهـم نظراتُ الصبـايا أناشيدَ عهـد الشباب الرطيب
وأقبل كلٌ إلى أهله ، سوى أمَلـي ، المستطار ، الغـريب
فقـد تـاه في مَعْسَبَات الحياة ، وسُدّتْ عليـه مناحِـي الدروب
وظـلّ شريدا ، وحيدا ، بعيدا ، يغالب عُنْف الحياة العصيب
وقد كان مِن قبلُ ذا غبطةٍ ، يرفرف حـول فـؤادي الخصيب

***

ولـمّـا أظلّ المساءُ السماءَ ، وأسكـر بالحزن روحَ الـوجودْ
وقفتُ ، وساءلته : « هل يؤوب لقلبـي ربيعُ الحياة الشّرُود ؟ »
« فتخفقُ فيه أغانـي الورود ويخضرُّ فـردوسُ نفسـي الحصيد؟ »
« وتختـال فيـه عروس الصباح ، وتمرح نَشْوى بذاك النشيد ؟ »
« ويرجع لي من عراص الجحيم سلامُ الفؤاد، الجميلُ، العهيد ؟ »
« فقـد كـبّلَتْه بنـاتُ الظـلام ، وألقيْنَه في ظلام اللحـود ؟ »
فـأصغى إلى لَهَـفِـي المستمـرّ ، وخـاطبني من مكانٍ بعيد :
« تعـودُ ادّكاراتُ ذاك الهـوى ، ولـكنّ سحر الهوى لا يعود »
فجـاشتْ بنفسِـي مـآسي الحياة ، وسخطُ القنوط القويُّ المَريد
ولمّا طغت عصَفاتُ القنوط فمادتْ بـكلٍّ مكيـن ، عتيـد

أهبتُ بقلبي ، الهلوع ، الجزوع ، وقد كان من قبلُ جلْدا ، شديد :

« تجلّـد ، ولا تستكنْ للّيالي ، فما فاز إلاّ الصبور ، الجليد »

« ولا تـأسَ من حادثات الدهور ، فخلف الدياجير فجرٌ جديد »

« ولـولا غيـومُ الشتـاء الغِضابُ لمـا نضّدَ الرّوضُ تلك الورود »

« ولـولا ظـلام الحـياة العبـوسُ ، لمـا نسجَ الصبـحُ تلك البـرودْ »

27 رجب 1346

20 جانفى 1928

بقايا الخريف

كـرهتُ القصورَ ، وقطّانـَها ، وما حولـَها من صراعٍ عنيفْ
وكـيـدِ الضّعيف لسعـي القـويّ ، وعصف القويّ بجـَهد الضّعيفْ
وجـاشت بنفسي دموع الحيـاة ، وعجّتْ بقلبـي ريـاح الصروف
لقلب الفقيـر الحطيم الـكسيـر ، ودمـع الأيامى السفيـح الـذريف
ونـَوْحِ اليتـامى على أمّهـات ، تـواريـْنَ خلف ظـلام الحُتوف
فسرْتُ إلى حيث تـأوي أغـاني الربيـع ، وتذوي أمانـي الخريف
وحيث الفضا شاعـرٌ حـالمٌ ، يناجـي السهول بـوحي طريف
وقد دثّرتـه غيومُ المساء بظلٍّ حزيـن ، ضريـجٍ ، شفيف

وبين الغصون التي جرّدتها ليالي الخريف القويّ العَسُوف

وقَفَتْ ، وحولِي غديرٌ ، مواتٌ ، تمادتْ به غَفَوَاتُ الكهوف

قضتْ في حفافيْه تلك الزُّهور ، فكفّنها بالصقيع الخريف

سوى زهرةٍ شقيتْ بالحياةِ ، وملْبَثِها بالمُقام المخيف

يروّعها فيه قصفُ الرعود ، ويحزنها فيه ندْبُ الزفيف

ويَنْتابُها في الصباح السّديمُ ، وفي الليلِ حلمٌ ، مريعٌ مخيف

وتُرْهِبُها غاديات الغمام ، وتُؤْلمها كلُّ ريحٍ عصوف

فتَرْنُو لما حولها من زهور ، وما ثَمّ إلا السحيقُ ، الجفيف

فتبكي بكاء الغريب ، الوحيد ، بِشجْوٍ كظيمٍ ، ونَوْحٍ ضعيف

تباكي به لُبَّها المستطارَ ، وترثي به ما طوتْه الحُتُوف

وتشكو أساها بياضَ النهارِ ، وتندُبُ حظّ الحياة السخيف

ولكنْ لقد فقدتْ في الوجود رفيقا مُصيخا ، وقلبا رؤوف

فما ثَمّ إلّا الصخورُ القواسي ، وإلّا الصّدى المستطارُ الهتوف

فجادتْ بروح شقيّ ، شجيّ ، لقد عذبته الليالي صنوف

وماتتْ ، وقد غادرتْها بقاعٍ من الأرض ضَنْكٍ ، حياةُ الصروف

فبانت حيالَ الغدير الأصمّ ، وقد أخرس الموتُ ذاك الحفيف

وقد خضّبتْها غيومُ المساء ، كغانية ضرّجتها السيوف

فسلْها : « تُرى كيف غاض الأريجُ؟ وكيف ذَوَى سحرُ ذاك الرفيف؟»
« وكيف خبَتْ بسماتُ الحياة بأجفانها ، وعراها الكسوف ؟ »
« وكيف لَوَتْ جيدَها الحادثاتُ وألْوَتْ بذاك القوام اللطيف ؟ »
ذكرت بمضجعها المطمئنِّ ومرقدها في السَّفِير الجفيف
مصارعَ آمالِيَ الغابرات وخيبْتَها في الصراع العنيف
فقلّبْتُ طرفي بمهْوَى الزهور وصعَّدته في الفضاء الأسيف
وقلت : « هُوَ الكونُ مَهْدُ الجمال ولكنْ لكل جمالٍ خريف !.. »
وأطرقتُ ، أصغي لهمس الأسى وقد غَشِيَ النفسَ همٌّ كثيف
وغاضتْ ثُمالةُ نور النهار وأرْخى ظلامُ الوجود السجوف

6 رمضان 1346

27 فيفرى 1928

أغنية الشاعر

يا ربّة الشعرِ والأحلام ، غنّيني   فقد سئمتُ وجومُ الكونِ ، من حين
إنّ الليالي اللواتي ضمّخت كبدي   بالسّحر أضحتْ مع الأيام ترميني
ناختْ بنفسي مآسيها ، وما وجدتْ   قلبا عطوفا يُسلّيها ، فعزّيني
وهدّ من خلدي نَوْحٌ ، ترجّعه   بَلْوَى الحياة ، وأحزانُ المساكين
على الحياة أنا أبكي لشقوتها   فمَن إذا متُّ يبكيها ويبكيني ؟
يا ربّة الشّعرِ ، غنّيني، فقد ضجرت   نفسي من الناس أبناء الشياطين
تبرّمت ببني الدنيا ، وأعوزها   في معزف الدهر غرّيدُ الأرانين
وراحةُ الليلِ ملأى من مدامعه   وغادة الحب ثكلى ، لا تغنّيني

فهل إذا لُذْتُ بالظلماء، منتحبا   أسلو؟ وما نَفْعُ محزون لمحزون؟
يا ربّة الشعر! إنّي بائسٌ، تعسٌ   عدِمتُ ما أرتجي في العالَم الدُّون
وفي يديْكِ مزاميرٌ يخالجها   وحي السماء؛ فهاتيها، وغنّيني
ورتّلي حولَ بيت الحزن أغنيةً   تجلُو عن النفس أحوانَ الأحايين
فإن قلبيَ قبرٌ، مظلمٌ، قُبِرتْ   فيه الأماني، فما عادت تناغيني
لولاكِ في هذه الدنيا لما لمستْ   أوتارَ روحيَ أصواتُ الأفانين
ولا تغنّيْتُ مأخوذا..، ولا عذُبتْ   ليَ الحياةُ لدى غضّ الرياحين
ولا أصخْتُ إلى الأصداء، راقصةً   بين الكهوف، على عزف الشياطين
ولا ازدهى النفسَ في أشجانها شفقٌ   يُلوّنُ الغيْمَ لهوا أيَّ تلوين
ولا استخَفّ حياتي، وهي هائمةٌ   فجْرُ الهوى في جفُون الخُرّدِ العِين

16 رمضان 1346
8 مارس 1928

في فجاج الآلام

يـا لَابتسامـة قلبٍ مطلـولـةٍ بدمـوعِـهْ
غاضت، فلم تبـق إلاّ الدمـوع بين صدوعِهْ
فظلّ يهتف من شجـوِ هِ، وفـرْط ولُوعِـهْ
« ويْح الحياة ! أما تنقضي لديها الرزايا ؟ ! »
« أما يُـكَـفْـكِفُ هذا الزمانُ صوْبَ البلايا ؟ ! »
« يا دهرُ ! رفقا ! فإنّ القلوب أمست شظايا » -

***

يا قلب نهنهْ دموعَ الأسى، ولوْعة رُوعِكْ
إنّ الدهـور البواكي غنيّـةٌ عن دمـوعِكْ

حسْبُ الحيـاة أساهـا فاطوِ الأسى في صدوعِـكْ
واحلم بفجر الليالي . . ، ففجرُ ها في هجوعِـكْ
وإنْ غفَـوْتَ فـإنّ الحياة ليست تـروعُكْ
وسوف يمضـي شتـاء الأسى ، ويأتـي ربيعُكْ

***

بيـن القبـور فتــاةٌ جـارَ الزمانُ عليْـهـا
فافْتكّ منهـا بعنفٍ كـفُّ الردى أبويْـها
تقـول والليـل سـاجٍ والقبرُ مصغٍ إليْـهـا :
« يا ليتنـي مـتُّ من قبل أن تسوءَ حياتي »
« ويَنضبَ الدمع من لوْعتِـي ، ومن حسراتـي ! »
« مَنْ لي بحفُرة قبـر تضمُّني وشكاتي ! »

***

في الحـيّ صبٌّ يعانــي في الصدر داءً دفينــا
وفي الفؤاد جوًى كـا مِنًـا وحسًّا مكـينــا
حتّـى دهتْـه الليــالي وجرّعَتْـهُ مَنُونَــهْ
فشيَّـعَ الميْـتَ جمـعٌ من حيِّـه ، يندبـونـهْ

حتى إذا ما أرادوا رصْفَ الصفائح دونَه ْ
ناحت عليه فتاة : «ويلي ، لمن تتركونه !»

*
* *

كان الصبيُّ يصيد الفراش بين الزهورْ
فداس زهرا نديًّا ألقى به في الغدير
فأخرجوه ، ولكن بعد القضاء الأخير...
فخرّت الأم حول الصبيِّ ، تصرخ : «ويلي !»
فقلت — والقلب دامٍ والناس يبكون حولي — :
« ما أسخف العيش تقضي عليه زلّةُ نَعْلٍ ! »

*
* *

شيْخٌ ، شاءَ دهر الأسى ، وحيدٌ شتيتُ
بين الخرائب يُمسِي على الطّوى ، ويبيتُ
في ظلمة الليل فاضت على الوجود حياتُه ْ
وطرفُه يرمُق النَّجمَ مِلْؤُه عبراتُه ْ
وما حو اليْه إلاّ الخرابُ يُشجِي صُماتُه
فما بكاه فتاه ولا بكتْه فتاتُه ْ

*
* *

يـا زهـرةَ سـَامَهـا العابرون خسفا وهُونَا !
لو كنتِ شوكًا عـَضوضا ما داسكِ العابرونا
لأنّهـم يجهلـون الـوحـيَ الـذي تـُضـْمرينـا
هم يسخرون بهمس الزهور ، وهو بديـعُ !
ويـُنصتون لصوت الأشواك ، وهو مـُريـعُ !
فـلا تبـالِ بقـوم الحـقُّ فيهم صريـعُ

***

ربـَّاه ! كم من فتاةٍ ، تشكو الحياة وتبكي ،
ومـُعْدمٍ ، بـَوَّأتـْهُ الدُّهـورُ مقعـَد ضنـكِ
ويـائسٍ مـات في لـُبـِّـه المرام الوحيدُ
وتائهٍ ، ضاع بين القفار ، وهو فريدُ
حتى طـوته من العاصفاتِ ريـحٌ شـَرُودُ
ربـَّاه ! رُحماكَ إنَّ الزّمان فضٌّ شديـدُ

***

يا طائر الشـِّعر ! رَوِّحْ على الحياة الـكئيبـَهْ
وامسحْ بـريشكَ دمْعَ القلوب فهـي غريبـَهْ

وعـزِّهَـا عن أساهـا فقـد دهتْها المصيبـه
وأنتَ روحٌ جميل ، بين الهضاب الجديبهْ
فانفخْ بها من لهيب السماء رُوحا خضيبهْ
وابعث بسحـركَ في قلبها ضرامَ الشبيبـهْ

10 شوال 1346
غرة افريل 1928

مُناجاة عصفور

يا أيها الشادي المغرِّد ههنا ... ثَمِلاً بغبطة قلبه المسرور
متنقِّلاً بين الخمائل ، تاليا ... وحْيَ الربيع الساحر المسحور
غرِّدْ ، ففي تلك السهول زنابقٌ ... ترنو إليك بناظرٍ منظور
غرِّدْ ، ففي قلبي إليك مودّةٌ ... لكن مودّة طائرٍ مأسور
هجرته أسراب الحمائم ، وانبَرَتْ ... لعذابه جنِّيةُ الديجور . . . .
غرِّدْ ، ولا ترهبْ يميني ، إنّني ... مثل الطيور بمهجتي وضميري
لكن لقد هاض التراب ملامحي ... فلبثتُ مثلَ البلبل المكسور

أشـدُو برنّـاتِ النياحـة والأسى مشبـوبـةً بعـواطفي وشعوري
غـرِّدْ ، ولا تحفل بقلبـي ، إنّـه كالمعـزف ، المتحطّـم ، المهجـور

***

رتِّلْ على سمع الـربيـع نشيدَهُ واصدحْ بفيْضِ فؤادك المسجور
وانشد أنـاشيد الجمـال ، فإنّهـا روحُ الوجـود ، وسلوة المقهـور
أنـا طائر ، متغـرِّدٌ ، مترنِّـمٌ لـكـن بصوت كـآبتـي وزفيري
يهتاجنـي صوتُ الطيور ، لأنَّه مُتَدَفِّـقٌ بحـرارة وطَهـور
مـا في وجود الناس من شـي بـه يَرْضَى فؤادي أو يُسَرُّ ضميري
فـإذا استمعتُ حديثَهم ألْفَيْتُهُ غَثًّا ، يفيـض بـرِكَّةٍ وفتـور
وإذا حضرتُ جموعَهم ألْفَيْتَنِي مـا بينهـم كـالبلبـل المـأسور
متوحِّدا بعواطفي ، ومشاعري ، وخواطـري ، وكـآبتي ، وسروري
يَنْتَابُنِـي حَرَجُ الحياة كأنني مِنهمِ بـوهـدة جنـدل وصخور
فإذا سكـتُّ تضجـَّروا ، وإذا نطقت تـذمَّـروا من فـكرتـي وشعوري
آهٍ مـن النـاس الذين بلَوْتُهم فقلـوْتهـم في وحشتـي وحبـوري !
مـا منهـمُ إلّا خبيـث غـادر متـربِّص بالنـاسِ شـَرّ مصيـر
ويـودُّ لـو ملك الوجودَ بـأسره ورمى الورى في جاحم مسجور
لِيَبُـلَّ غلّتـه التـي لا ترتـوي ويـكـضُ تهمـة قلبـه المغفـور

وإذا دخلتُ إلى البلاد فإنّ أفكا ... ري ترفرف في سفوح الطُّور
حيث الطبيعةُ حلوةٌ فتّانَةٌ ... تختال بين تبرُّج وسفور
ماذا أودُّ من المدينة ، وهي غارقةٌ ... بموّار الدّم المهدور ؟
ماذا أودُّ من المدينة ، وهي لا ... تَرْثي لصوت تفجُّع الموتور ؟
ماذا أودُّ من المدينة ، وهي لا ... تَعْنو لغير الظالم الشرِّير ؟
ماذا أودُّ من المدينة ، وهي مُرْتادٌ ... لكلّ دعارة وفجور ؟

*****

يا أيها الشادي المغرِّد ههنا ... ثمِلاً بغبطة قلبه المسرور !
قبِّلْ أزاهير الربيع ، وغنِّها ... رنَمَ الصباح الضاحك المحبور
واشربْ من النَّبع ، الجميل ، الملتوي ... ما بين دَوْحِ صنوبَرٍ وغدير
واتركْ دموع الفجر في أوراقها ... حتّى تُرشّفها عروسُ النور
فلربّما كانت أنينا صاعدا ... في الليل من متوجّع ، مقهور
ذرفته أجْفانٌ الصباح مدامعًا ... ألاّقة ، في دوحة وزهور . . .

27 محرم 1347
16 جويلية 1928

يا رفيقي

يا رفيقي ! وأين أنتَ ؟ فقد أعمت جفوني عواصف الأيّامِ
ورمتْني بمهمهٍ ، قاتمٍ ، قفرٍ ، تُغَشّيه داجياتُ الغمام . .
خُذْ بكفّي ، وغنّني ، يا رفيقي ، فسبيل الحياة وعرٌ أمامي
كلّما سِرْتُ زلّ بي، فيه مهوى ، تتضاغى به وحوشُ الحِمامِ
شعّبتْه الدهور ، وانطمسَ النّور ، وقامتْ به بناتُ الظلام
راقصاتٍ ، يَخْلُبْنَ في حلَكِ الليل ، ويلعبن بالقلوب الدوامي
غنّني ، فالغناءُ يَدْرأ عنّا الساحرَ الجنَّ ... ، ساكنَ الآجام.

***

قد تفكرتُ في الوجود ، فأعياني ، وأدبرتُ آيساً لظلامي
أنشُدُ الرّاحَةَ البعيدةَ ، لكنْ خاب ظنّي وأخطأت أحلامي
فمعي في جوانحي أبَدَ الدهر فؤادٌ إلى الحقيقة ظامي
ما تراخى الزّمانُ إلاّ وألقى في طواياه قَبْضَةً من ضَرام
تتلظّى ، يدَ الحياة ، وزادتْ مُعضلاتُ الدُّهور والأعوام
أظمأتْ مهجتي الحياةُ ، فهل يوما تُبلُّ الحياة بعض أُوامي ؟
يا رفيقي ! ما أحسِبُ المنبعَ المنشودَ إلا وراءَ ليْلِ الرِّجام
غنِّني ، يا أُخَيّ ، فالكوْنُ تيْهاءُ ، بها قد تمزّقت أقدامي
غنِّني ، علّني أُنِيمُ همومي ، إنّني قد ملِلت من تهيامي .

*
* *

يا رفيقي ! أمَا تفكّرْتَ في الناس ، وما يحملون من آلام ؟
فلقدْ حزّ في فؤاديَ ما يَلْقَوْن من صولة الأسى الطلاّم
فإذا سرّني من الفجر نُورٌ ساءني ما يُسِرُّ قلبُ الظّلام
كم بقلب الظلام من أنّةٍ تهفو بغُصّات صِبْيَةٍ أيتام
ونشيجٍ مُضَرّمٍ من فتاةٍ ، أبهظتْها قوارعُ الأيّام
ونُواحٍ يفيضُ من قلب أمٍّ فُجعتْ في وحيدها البسّام ،
فَطَمَ الموتُ طفلَها ، وهو نورٌ في دجاها ، من قبل عهد الفِطام

وأنيـنٍ من مُعْـلِمٍ ، ذي سَقام ، عضـّـهُ الدهر بالخطوب الجِسام
ما إخـال النُّجـوم إلاّ دمـوعـا ، ذَرَفَتْهـا محـاجرُ الأعـوام
فلقـد ضرّم الشجـونَ بنـوهـا ، فـإذا بالشّجـون سيـلٌ طـام
وإذا بالحياة في ملعب الدهر تـدوس الـرؤوسَ بـالأقـدام
وإذا الـكون فِلذةٌ من جحيمٍ ، تتغذّى بكلّ قلـبٍ دام
وهُـمُ في جحيمهمْ يتنـاغَوْن بما في الوجود من أنغام !
عجبـا للنفـوس ، وهي بـواكٍ ، عجبـا للقلوب ، وهي دوام
كيف تشدو وفي محاجرها الدمع ، وتلهو ما بينَ سُودِ الموامي ؟ !

***

يا رفيقي ! لقد ضللتُ طريقي ، وتخطّت مَحَجّتِـي أقدامي
خذ بـكفّـي ، فإنّني تائهٌ ، أعمى ، كثيرُ الضـلال والأوهـام
وانفـخ النّـايَ ، فالحيـاة ظلامٌ ، مـا لمرتـاده من الهـول حـام
مِلءُ آفاقه فحيـحُ الأفاعي ، وعجيـجُ الآثـام والآلام
فـانفخ النّـايَ ، إنـه هِبَـةُ الأملاك للمستعيـذ بالإلهـام
واغـذُذِ السَّيْـرَ ، فالنهارُ بعيدٌ ، وسبيلُ الحياة جمُّ الظلام . . .

27 محرم 1347

16 جويلية 1928

إلى الموت

صبيَّ الحيـاة ، الشقيّ العنيدْ ألا قد ضللتَ الضـلال البعيدْ !
أتُنشدُ صوتَ الحياة الرخيمَ ، وأنت سجينٌ بهذا الوجودْ ؟!
وتطلب وَرْدَ الصباح المخضّب من كفّ حقلٍ ، جديبٍ ، حصيدْ ؟ !
إلى الموت ! إنْ شئتَ هَوْنَ الحياة ، فخلف ظلام الردى ما تريد . .

***

إلى الموت! يا ابن الحياة التعيسَ ، ففي الموت صوتُ الحيـاة الرخيمْ
إلى الموت ؟ إن عذّبتكَ الدهور ، ففي الموت قلبُ الدهور الرحيم

إلى الموت ! فالموت رُوحٌ جميل ، يـرفـرف من فوق تلك الغيوم
فَـروحا بفجـر الخلود البهيـج ، ومـا حـوله من بنات النجوم . . .

***

إلى الموت ! فالموت جـامٌ رويٌ لمـن أظمـأته سَمُومُ الفلاةْ
ولستَ بـراوٍ ـ إذا ما ظمِئتَ ـ من المنبـع العذب قبـل الممـات
فمـا الدمـع إلا شراب الـدهـور ، ومـا الحـزن إلا غـذاءُ الحيـاة
إلى الموت ! فالموت مَهْـدٌ وثيـر ، تنـام بـأحضـانه الـكـائنـات

***

إلى الموت ! إن حاصرتكَ الخطوبُ ، وسدّتْ عليكَ سبيلَ السلامْ
ففي عالم الموت تنضو الحياةُ رداءَ الأسى ، وقناعَ الظلام
وتبـدو ، كما خُلِقَتْ غضّةً يفيض على وجهها الابتسام
تعيـدُ عليهـا ظِـلاَل الخلـود ، وتهفـو عليها قلوبُ الأنـام

***

إلى الموت ! لا تخش أعمـاقـه ففيهـا ضيـاء السماء الوديعْ
وفيهـا تميس عذارى السمـاء ، عـواريَ ، ينشدن لحنا بديـع . .

وفي راحهنّ غصونُ النخيل يحرّكْنها في فضاءٍ يضوع . .
تضيء به بسمات القلوب ، وتخبو به حسرات الدموع

***

هو الموت طيفُ الخلودِ الجميلُ ، ونصف الحياة الذي لا ينوحْ
هنالكَ . . . خلف الفضاء البعيد ، يعيش المنونُ القويُّ الصبّوحْ
يضمُّ القلوب إلى صدره ، ليأسوَ ما مضّها من جروح
ويبعثَ فيها ربيعَ الحياة ، ويُبهجَها بالصباح الفَروح

24 صفر 1347

12 اوت 1928

الى عازف أعمى

أدركتَ فجر الحياة أعمى وكنتَ لا تعرف الظلامْ
فـأطبقت حولك الدّياجي وغـام من فـوقك الغمـام
وعشتَ في وحشة ، تقاسي خوا طـرًا ، كلّهـا ضـرام
وغـربةٍ ، ما بها رفيق وظلمـةٍ ، ما لها ختام
تشقُّ تـيهَ الوجودِ فردًا قد عضّك الفقر والسقام
وطـاردت نفسك المـآسي وفـرّ من قلبـك السـلام

***

هـوِّن على قلبك المعنَّى إن كـنت لا تبصر النجومْ
ولا ترى الغابَ ، وهو يلغو وفــوقـه تخطـر الغيـوم

ولا ترى الجدولَ المغنّي	وحوله يرقص الغيم
فكلّنا بائس ، جدير	برأفة الخالق العظيم
وكلّنا في الحياة أعمى	يسوقه زعزعٌ عقيم
وحوله تزعق المنايا	كأنّها جِنّةَ الجحيم :

***

يا صاح ! إنّ الحياة قفرٌ	مروّعٌ ، ماؤه سرابْ
لا يجتني الطّرْفُ منه إلاّ	عواطفَ الشوك والتراب
وأسعدُ الناس فيه أعمى	لا يبصر الهول والمصاب
ولا يرى أنفسَ البرايا	تذوب في وقْدة العذاب
فاحمَد إلآه الحياة ، واقنعْ	فيها بألحانكَ العِذاب
وعِشْ ، كما شاءت الليالي	من آهة النّاي والرّباب

28 صفر 1347

18 اوت 1928

صوت تائه

قضّيتُ أدوارَ الحياة ، مفكّرا — في الكائنات ، معذّبا ، مهموما
فوجدْتُ أعراسَ الوجود مآتما — ووجدت فردوسَ الزمان جحيمًا
تدوي مخارمه بضجّة صرصرٍ ، — مشبوبة ، تَذَرُ الجبال هشيما
وحضرتُ مائدةَ الحياة فلم أجد — إلاّ شرابا ، آجنًا ، مسموما
ونفضتُ أعماق الفضاء ، فلم أجد — إلاّ سكونا ، مُتْعَبًا محموما
تتبخّرُ الأعمار في جَنَبَاتِه — وتموتُ أشواقُ النفوس وُجوما
ولمست أوتار الدهور ، فلم تُفِضْ — إلاّ أنينًا ، داميًا ، مكلوما
يتلو أقاصيص التعاسة والأسى — ويُصيرُ أفراح الحياة هموما

* * *

شُرِّدْتُ عن وطَني السماويِّ الذي ما كـان يوما واجمًـا ، مغموما
شُرِّدْتُ عن وطني الجميل ..، أنا الشقـيّ ، فعشت مشطورَ الفؤاد ، يتيمـا . . .
في غُـربةٍ ، روحيَّةٍ ، ملعونـةٍ أشواقُها تقضي ، عِطاشًا ، هِيما...
يا غربةَ الرُّوحِ المفكّرِ ! إنّه في الناس يحيا ، سائما ، مسئومـا
شُرِّدتُ للدنيـا . . ، وكلٌّ تـائـهٌ فيهـا يُـروّعُ راحـلاً ومقيمـا
يدعو الحياة ، فلا يُجيبُ سوى الرّدى ليدُسَّـه تحـت التـراب رميمـا
وتظلّ سـائرةً ، كـأنّ فقيـدها ما كـان يوما صاحبًـا وحميمـا !

***

يا أيُّها الساري ! لقد طـال السُّرى حتّامَ ترقب في الظلام نجوما . . ؟
أتخالُ في الوادي البعيدِ المُرْتَجَى ؟ هيهات ! لن تلقى هناك مَرُوما
سرْ مـا استطعت ، فسوف تُلْفِـي – مثلما
خـلّفتَ – مَمْشوقَ الغصون حطيما

3 ربيع الاول 1347
20 اوت 1928

قبضة من ضباب

مهما تأمّلتُ الحياةً ، وجُبْت مجهلَها الرهيبْ
ونظرتُ حولي ، لم أجد إلاّ شكوكَ المُستريب
حتّى دَهِشْتُ ، وما أفدتُ بدهشتي رأيا مُصيب
لكنّني أجهدتُ نفسي ، وهي باديةُ اللُّغوب
ودفعتُها وهي الهزيلةُ في مُغالَبة الكُروب
في مَهْمَهٍ متقلّب ، تُخشى غوائلُه ، جديب
فإذا أصابت من مناهله شرابا تستطيب

أروتْ جوانحَهــا ، وذلك حسبُها كَيْمَا تؤوب
ومَن ارتـوى في هـذه الـدنيـا تسنّمهـا خطيب ؟
أولا فقـد ركِبت من الأيـام مركَبها العصيب . .
وقضتْ كما شاء الخلودُ ، وفي جوانحها اللهيب ! .

5 جمادى الاولى 1347

20 اكتوبر 1928

نشيد الأسى

يـا ليت شعـري ! هل لليـل النفس من صبـح قـريبْ ؟
فتقـرّ عـاصفةُ الظـلام ، ويهجـَعُ الـرعدُ الغضوب
ويـرتـّـلُ الإنسـانُ أغنيـةً مـع الدنيـا ، طــروب

***

ما للـرياح تهبُّ في الدنيـا ، ويدركـها اللُّغــوبْ
إلاّ رياحي ، فهي جامحةٌ ، تمرُّدُهـا عصيب ؟
مـالي تعـذّبني الحيــاة كـأنني خـَلـْـقٌ غريب ؟
وتهـُـدُّ من قلبـي الجميل ؟ فهل لقلبـي من ذنوب ؟

وإذا سألتُ : « لِـمَ الوجود ، وكـلُّـه همٌّ مذيب ؟ »
قالت : « نواميسُ السماء قضتْ ، ومالك من هروب ؟ »
آهٍ على قلبي ! وإن شقيتْ كشِقـوتـه قلـوب
أنقى مـن المـوج الوضيء ، ومن نشيـد العندليب
لم تقتـرفْ إثمَ الحيـاة ، وكـان مـأواهـا اللهيب

**

يا مهجـةَ الغاب الجميلِ ألمْ يصدِّعْك النحيبْ ؟
يا وجْنَـةَ الورد الأنيـقِ ألمْ تشوِّهك النُّدوب ؟
يا جدولَ الوادي الطروب ألم يرنِّقْكَ القطوب ؟
ياغيْمةَ الأفُق الخضيب ألمْ تمزِّقكِ الخطوب ؟
يا كوكبَ الشفقِ الضحوك أمـا ألَـمَّ بك الشحوب ؟
ها أنت ذا في الأفْـق تضحكُ ، لا تُهمُّ ، ولا تخيب
تُلقِـي على قُنَـن الجبـال رداء لألاءٍ قشيب
لتنـامَ أورادُ الجبـال الشُـمِّ ، في مَهْـدٍ عجيب
ولـكي تغنّيـكَ الجـداولُ لحنَهـا العـذب الحبيب
وتـرى جمـالك من بنـات الغـاب مِعطارٌ ، لَعوب

معشوقــةٌ ، في فـرعها تـاجٌ مـن الـورد الخضيب
تتلـو أنـاشيـدَ الـربيع كـأنّهـا نجـوى القلـوب
يا كوكبَ الشفق الضحوك ! وأنت مُبْتَهلُ الكـئيب
لُحْ في السماء ! وغنّ أبناء الشقــاوة والخطـوب
أنشـودةً تَـهَبُ العـزاءَ لـكلّ مُبتئس غـريب
فالطيـر قـد أغفتْ ، وأسكتَ صوتَها الليـلُ الهَيـوب
وابسطْ جنـاحكَ في الـوجود ، فإنّه عـذبٌ ، خلَـوب
متألّـقٌ بيــن النجـوم ، كـأنّه حُلُـمٌ طــروب
وانْشـرْ ضِيـاءكَ ساطعـاً ، ليُنيـرَ أعماق القـلـوب
فعــلى جـوانبهـا مـن الأحـزان ديْجُـورٌ رهيب

*****

ما للميـاهِ نقيّـةٌ حـوْلِـي ، ويَنبـوعِـي مَشُوبْ ؟
مـا للصبـاح يعـود للـدنيـا ، وصُبْحِـي لا يؤوب ؟
مـا لي يضيقُ بـيَ الـوجود ، وكلُّ ما حولي رحيب ؟
مـا لي وَجِمْتُ وكلُّ ما في الغاب مغترد طروب ؟
مـا لي شقيتُ ، وكـلّ ما في الـكون أخّاذٌ عجيب :

في الأرض أقدام الربيع تلامس السهلَ الجديب
فإذا به يحيا ، وينبت رائق الزهر الرطيب
وهناك أنوار النهار تُطلُّ من خلف الغروب
فتخضِّب الأمواج ، والآفاق ، والجبل الخصيب
إنّ الوجودَ الرحْبَ ، والغاباتِ ، والأفُقَ الخضيب
لمْ تخبُ أشواق الحياة بها ، فغادرها القطوب
أمّا أنا ففقدتها ، والليل مُرْبَدٌّ ، رهيب
والرِّيحُ تعصفُ بالورود . . ، فعِشْتُ سخريةَ الخطوب..

***

مهما تضاحكت الحياة فإنّني أبدا كئيبْ
أصغي لأوجاع الكآبة ، والكآبة لا تجيب
في مهجتي تتأوّهُ البلوى ، ويعتلجِ النَّحيب
ويضجُّ جبّارُ الأسى ، وتجيش أمواج الكروب
إنّي أنا الرُّوحُ الذي سيظَلّ في الدنيا غريب
ويعيش مضطلعا بْأحزان الشبيبة والمشيب.

13 جمادى الاولى 1347

28 اكتوبر 1928

فلك الشعر

أنتَ يـا شعر ، فِلذهٌ من فؤاديِ   تتغنّى ، وقطعةٌ من وجودي
فيك ما في جوانحي من حنينٍ   أبـديّ إلى صميـم الوجـود
فيك ما في خواطري من بـكـاء   فيك ما في عواطفـي من نشيـد
فيك ما في مشاعري من وُجومٍ   لا يُغنّي ، ومن سرور عهيـد
فيك ما في عوالمي مـن ظـلامٍ   سرمديّ ، ومن صبـاحٍ وليـد
فيك ما في عـوالمي من نجـوم   ضاحكات خلف الغمام الشّرود .
فيك ما في عوالمي من ضبـاب   وسراب ، ويقظـة ، وهجـود
فيك ما في طفولتي من سلامٍ ،   وابتسامٍ ، وغبطـةٍ ، وسعود

فيك ما في شبيبتي من حنينٍ ، وشجون ، وبهجة ، وجمود
فيك – إن عانق الربيع فؤادي – تتثنّى سنابلي وورودي
ويغنّي الصباحُ أنشودة الحبّ ، على مسمع الشباب السعيد
ثم أجني في صيْف أحلاميَ الساحر ما لذّ من ثمار الخلود
فيك يبدو خريف نفسي مَلُولاً ، شاحبَ اللون ، عاريَ الأُملود
جلّلتْه الحياةُ بالحزَن الدّا مي وغشّتْهُ بالغيوم السود
فيك يمشي شتاءُ أيّاميَ البا كي ، وتُرغي صواعقي ورعودي
وتجفّ الزهور في قلبيَ الدا جي وتهوي إلى قرار بعيد....
أنت يا شعر قصّة عن حياتي أنت يا شعر صورة من وجودي
أنت يا شعر–إن فرحتُ–أغاريدي – وإن غنّت الكآبة – عودي
أنت يا شعركأسُ خمرٍ عجيبٍ أتلهّى به خلال اللحود . . !
أتحسّاه في الصباح ، لأنسى ما تقضّى في أمسيَ المفقود
وأناجيه في المساء ، ليُلْهِينَنِيَ مَرْآهُ عن ظلام الوجود
أنا لولاك لم أطق عنَتَ الدّهر ، ولا فُرْقة الصباح السّعيد
أنت ما نِلْتُ من كهوف الليالي وتصفّحتُ من كتاب الخلود
فيك ما في الوجود من حَلَكٍ دا جٍ ، وما فيه من ضياء بعيد
فيك ما في الوجود من نَغَمٍ حلوٍ، وما فيه من ضجيج شديد

فيك ما في الوجود من جبل وعْرٍ ، وما فيه من حضيضٍ وهِيد
فيك ما في الوجود من حسكٍ ،يُدْمِي،وما فيه من غضيضِ الورود
فيك ما في الوجود.. ، حَبَّ بنو الأرض قصيدي،أم لم يُحبُّوا قصيدي
فسواءٌ على الطيور – إذا غنَّتْ – هُتافُ السَّؤوم والمستعيد
وسواء على النّجوم – إذا لاحت – سكونُ الدجى وقصفُ الرعود
وسواء على النّسيم أفي القفر تَغَنَّي ، أمْ بين غضٍّ الورود
وسواء على الورود ، أفي الغيران فاحتْ ، أم بين نهدٍ وجيد.

13 جمادى الاولى 1347
28 اكتوبر 1928

يا ابنَ أمي

خُلقتَ طليقاً كطيف النّسيم ، وحرّاً كنور الضحى في سماه
تغرِّد كالطير أيْن اندفعت ، وتشدو بما شاء وحيُ الإله
وتمرحُ بين ورود الصباح ، وتنعَم بالنور ، أنّى تراه
وتمشي ـ كما شئتَ ـ بين المروج ، وتقطف ورد الرُّبَى في رُباه

***

كذا صاغكَ الله ، يا ابن الوجود ، وألقتك في الكون هذي الحياه
فمالك ترضى بذلّ القيود ، وتَحني لمن كبّلوك الجباه ؟
وتُسكتُ في النفس صوت الحياة القويّ إذا ما تغنّى صداه ؟

وتطبق أجفانك النيِّـرات عن الفجر ، والفجرُ عذبٌ ضيـاه ؟
وتقنـع بالعيش بيـن الـكهوف ، فـأين النشيد ؟ وأين الإبـاه ؟
أتخشى نشيـد السمـاء الجميـل ؟ أترهب نور الفضا في ضحاه ؟
ألا انهضْ وسر في سبيل الحياة ، فمن نام لم تَـنتَـظِـرْهُ الحياه ؟
ولا تخشَ ممَّا وراء التلاع . . . فما ثَـمَّ إلّا الضحى في صباه...
وإلّا ربيـعُ الوجود الغـريرُ ، يطرِّزُ بالوردِ ضافي رداه . . .
وإلّا أريجُ الزهور الصبَّاحِ ، ورقْصُ الأشعَّةِ بين المياه...
وإلّا حَـمـامُ المـروج الأنيقُ ، يغرِّدُ ، منطلقا في غنـاه . . .
إلى النّـور! فالنور عَذْبٌ جميلٌ ، إلى النور! فالنور ظِـلٌّ الآله .

10 رمضان 1347

20 فيفرى 1929

الأغاني التائهة

كان في قلبِيَ فجرٌ ، ونجومْ ، وبحارٌ ، لا تُغَشّيها الغيومْ
وأناشيدٌ ، وأطيارٌ تحومْ وربيعٌ ، مُشْرِقٌ ، حلوٌ ، جميلْ
كان في قلبي صباحٌ ، وإياهْ وابتسامات ، ولكن . . . واأساه !
آه ! ما أهولَ إعصارَ الحياهْ ! آه ! ما أشقى قلوب الناس ! آه !

كان في قلبيَ فجرٌ ، ونجومْ ،
فإذا الكلُّ ظلامٍ وسديم . . . ،
كان في قلبيَ فجرٌ ، ونجومْ

يـا بني أمـّي ! تـُرى أيـن الصباحْ ؟ قد تقضّى العـُمـْرُ والفجْرُ بعيـدْ
وطغى الوادي بمشبُوبِ النُواحْ وانقضتْ أنشودة الفصْل السعيد
أيـن نايـي ؟ هل ترامتْه الـريـاح ؟ أين غابي ؟ أين محراب السجود.. ؟
خبـّروا قلبي – فما أقسى الجراح ! – كيف طارتْ نشوةُ العيش الحميد ؟

يـا بني أمـّي ! تـُرى أين الصباح ؟
أوراء البحـر ؟ أم خلفَ الوجود ؟
يا بني أمـّي ! تـُرى أين الصباح !

***

ليت شعري ! هل ستسليني الغداةْ وتـُعزّيني عن الأمس الفقيـدْ
وتـُريني أنّ أفـراح الحيـاة زُمـَرٌ تمضـي ، وأفواجٌ تعـود
فـإذا قلبـي صباح ، وإياه . . ، وإذا أحلاميَ الأولى ورود . . ،
وإذا الشـُّحرور حلو النَّغمات . . ، وإذا الغـاب ضيـاءٌ ونشيد . . ؟

ليت شعـري ! هل ستسليني الغداة
أم ستنساني ، وتبقيني وحيد ؟
ليت شعري ! هل تعزّيني الغداة ؟

15 شوال 1347
27 مارس 1929

الى قلبي التائه

ما لآفاقك يا قلبيَ سُوداً ، حالكاتْ ؟
ولأورادكَ بين الشوك صُفراً ، ذاويات ؟
ولأطيارك لا تلغو ؟ فأين النّغمات ؟
ما لمزمارك لا يشدو بغير الشّهقات ؟
ولأوتارك لا تخفق إلّا شاكيات
ولأنغامك لا تنطق إلّا باكيات
ولقد كانت صباحَ الأمس بين النّسمات
كعذارى الغاب ، لا تعرف غير البسمات ؟

هو ذا يا قلبيَ البحر ، وأمواج الحياة !
هو ذا القارب مشدودا إلى تلك الصّفاة !
هو ذا الشاطىء ! لكنْ أين رُبّانُكَ ؟ مات !
أين أحلامك يا قلبي ؟ لقد فات الفوات !
تلك أطيارٌ أنيقاتٌ ، طِرابٌ ، فرِحات
غرّدتْ ، ثم توارتْ في غيابات الحياة

***

أنت يا قلبيَ قلبٌ ، أنضجته الزفرات
أنت يا قلبيَ عُشٌ ، نفرت عنه القطاة
فأطارته إلى النهر الرياحُ العاتيات
فهو في التيّار أوراق ، وأعواد عُراة
أنت حقلٌ مُجْدبٌ ، قد هزأت منه الرعاة
أنت ليلٌ مُعْتِمٌ ، تندب فيه الباكيات
أنت كهف مظلمٌ ، تأوي إليه البائسات
أنت صَرْحٌ ، شاده الحبّ على نهر الحياة
لِبَنَات الشعر . . ، لكنْ قوّضتْه الحادثات
أنت قبرٌ ، فيه من أيامِيَ الأولى رُفات

أنت عودٌ ، مزّقتْ أوتارَه كفُّ الحياة
فهو في وحشته الخرساء بين الكائنات
صامتٌ كالقبر ، إلّا من أنينِ الذكريات
أنت لَحْنٌ ساحرٌ ، يخبط في التّيهِ المَوَات
أنت أنشودةُ فَجْرٍ .. ، رتّلتْها الظلمات...

***

أيها الساري مع الظلمة ، في غير أناة
مُطرقا ، يخبطُ في الصحراء، مكبوحَ الشّكاة
تِهْتَ في الدنيا ، وما أُبْتَ بغير الحسرات
صلِّ يا قلبي إلى الله ، فإنّ الموت آت
صلِّ فالنّازعُ لا تبقَى له غير الصلاة

10 ذو القعدة 1347

20 افريل 1929

إلامَ يا قلبي فماذا أرومُ ؟

يا قلبيَ الدامي ! إلامَ الوُجومْ ؟
يكفيك ! إنّ الحزن فظٌّ ، غَشوم
هذي كؤوسي مُرّةٌ كالردى
ما مِلْؤُها إلاّ عصير الهموم
وذاك نايِي صامتٌ ، واجمٌ
يُصغي إلى صوت الغرام القَديم
يا قلبيَ الباكي إلام البُكـا ؟
ما في فضاء الكون شيء يدوم

فـانْثُـرْ غُبـارَ الحزن فوق الدجى
واسمـعْ إلى صوت الشبـاب الرخيم
وانْقُـرْ عـلى دفٍّ الهـوى لحنَـه
وارقص مع النـور الضَّحوك الوسيم
يا قلبـيَ الداجـي ! إلاَمَ الوُجـوم ؟
إن لَـمْ ألُـمْ قلبي فـمَنْ ذا ألـوم ؟
مَـاَلكَ لا تُصغي لغير الأسى ؟
مـالك لا تَـرْنُو لغير الكـلُـوم ؟
مـالك قد أصبحتَ لا تصرفُ الأيّـامَ
إلاّ في شِعاب الجحيـم ؟
أَمَـا تـرى البلبـل في غابه
يشدو وفوق الغـاب تخطو النجوم ؟
أمَـا تـرى الأسحار تبدو بهـا الغابـات
كـالأحـلام ـ خلْـفَ السديـم
أمَـا تـرى الآمـال في سحرهـا ؟
أمَـا تـرى الليـل ينـاغـي النّجوم ؟

***

يا قلبيَ الداجي ! إلَامَ الوُجوم ؟
أكثرتَ يا قلبي ، فماذا تروم ؟
هل تحسبُ الأيامَ في زَحْفِها
ترثِي لمن قد هدّمَتْهُ الرّجوم ،
كَلَّا ! فإنّ الدهر يمضي ولا
يلوِي على ما خَلْفَهُ من كَليم
واليمُّ لا يرثي لمن طمَّه
والسيل لا يبكي لِنَوْحِ الهشيم
والعاصف الجبَّار في سخطه
لا يرحم الغصن ، الرشيقَ ، القويم
هذي هِيَ الدنيا فماذا الأسى
يا قلبيَ الدامي ، وماذا الوُجوم ؟

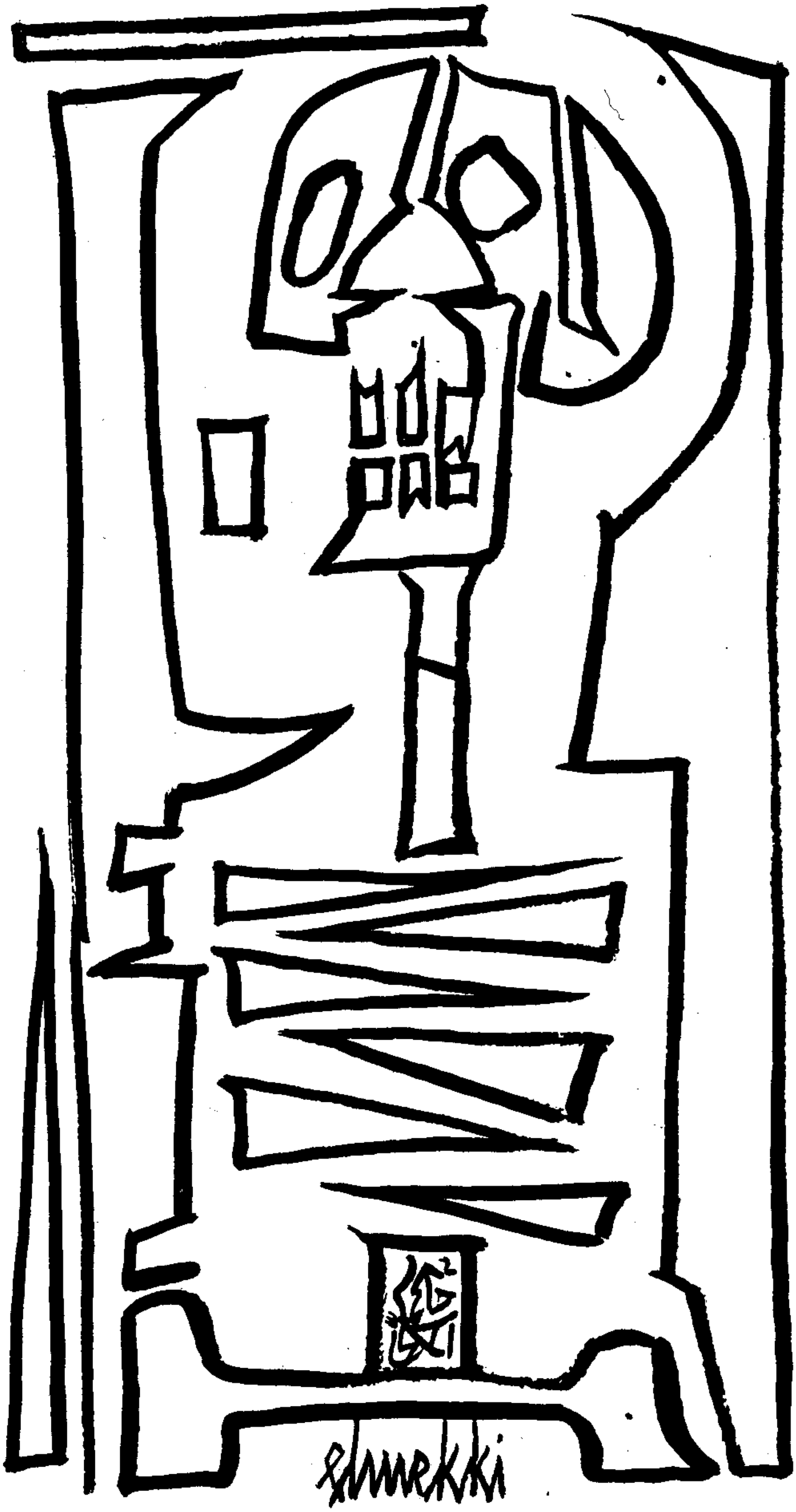
12 صفر 1348

20 جويلية 1929

يا موت

هى صرخة من صرخات نفسي المملوءة بالاحزان والذكريات ، وشظية من شظايا هذا القلب المحطم على صخور الحياة ، قلتها فى ايام الأسى التى تلت نكبتي بوفاة الوالد ، رحمه الله .

يـا مـوتُ ! قـد مـزّقتَ صدري
وقصمْـتَ بالأرزاء ظهري
ورميتْتَني من حالقٍ ، وسخِرتَ منّي أيَّ سخـر
فلبثتُ مرضوضَ الفؤاد أجرُّ أجنحتي بـذُعْـر . . .
وقسوْتَ إذ أبقيتني في الـكـون أذْرَعُ كـلّ وعْر
وفجعتني فيمن أحبّ ، ومَن إليْـه أبُثُّ سرّي



وأُعِدُّه ، فجري الجميلَ ، إذا ادلهمّ عليّ دهري
وأعدُّه ، ورْدي ، ومزماري ، وكاساتي ، وخمري
وأعدُّه ، غابي ، ومحرابي ، وأغنيتي ، وفجري...
ورزأتني في عمدتي ، ومشُورتي في كل أمر
وهدمتَ صرْحاً ، لا ألوذ بغيره ، وهتكت ستري
ففقدْتُ روحاً ، طاهرا ، شهما ، يجيش بكلّ خير
وفقدتُ قلباً ، همُّه أن يستوي في الأفْق بدْري
وفقدتُ كفّاً ، في الحياة يصُدُّ عنّي كلّ شرّ
وفقدتُ وجهاً ، لا يُعَبِّسه سوى حزَني وضُرّي
وفقدتُ نفساً ، لا تَنِي عن صوْن أفراحي وبِشرِي
وفقدتُ رُكنِي في الحياة ، ورايتي ، وعمادَ قصري

***

يا موت ! قد مزّقتَ صدري
وقصمْتَ بالأرزاء ظهري
يا موت ! ماذا تبتغي منّي وقد مزّقتَ صدري ؟
ماذا تودُّ ، وأنت قد سوّدتَ بالأحزان فكري
وتركتني في الكائنات أئنُّ ، منفردا بإصْري
وأجوبُ صحْراء الحياة ، أقول : « أينَ تُراهُ قبري ؟ »
ماذا تَوَدُّ مِن المعذّب في الوجود بغير وِزْر ؟

ماذا تَـوَدُّ من الشقيِّ بعيشـه ، النّكِـد ، المُضِـرّ ؟
إنْ كنتَ تطلبني فهاتِ الكأسَ ، أشربُها بصبر
أو كنتَ ترقبني فهاتِ السّهْمَ ، أرشقه بنحري
خذني إليك ، فقد تبخّرَ في فضاءِ الهمِّ عُمري...
وتهدّلتْ أغصانُ أيّامي ، بلا ثَمَرٍ وزهْرِ
وتناثرتْ أوراق أحلامي على حسَك الممر . . .
خذني إليك ! فقد ظمِئْتُ لكأسكَ ، الكدِرِ ، الأمرِّ..
خذني فقد أصبحتُ أرقُبُ في فضاكَ الجَوْنِ فجري
خذني ، فما أشقى الذي يقضي الحياة بمثل أمري ...

*
* *

يا موت ! قد مزّقتَ صدري
وقصمتَ بالأرزاء ظهري
يا موت ! قد شاع الفؤاد ، وأقفرتْ عَرَصَاتُ صدري
وغدوتُ أمشي مطرقا من طول ما أثقلتَ فكري
يا موت ! نفسي ملّت الدنيا ، فهل لم يأت دوْري ؟

26 ربيع الثانى 1348
غرة اكتوبر 1929

إلى الله

تعرض لقلب الانسان الذى لا تنتهي اطواره ازمات نفسية ثائرة ، يعصف فيها الألم والقنوط بكل حقائق الحياة ، وتتزعزع معها كل قواعد الايمان والحق والجمال ، فيشعر المرء كانما انبت ما بينه وبين الكائنات من وشائج الرحم والقربى ، فاصبح غريبا فى هاته الدنيا الغريبة فى نفسه ، وكانما الحياة فنٌّ من العبث المرعب المملّ الذى لا يجدر بالعطف ولا بالبقاء . ولكن من رحمة الأقدار انها حال عارضة لا تدوم الا كما تدوم عاصفة البحر . تكدر صفاءه ، وتحيل جماله الى شناعة ، وانغامه الى عويل ، وانسجامه الى فوضى ، ثم تقر العاصفة وتسكن ويرجع البحر الى زرقته الصافية ، والحانه المتزنة ، وجماله الساحر الأبدي . وتحت تاثير هذه الحالة النفسية الجامحة نظمت القصيد التالى ، ونفسى سكرى باحزانها الدامية وآلامها المتشحة باللهيب .

يـا إلـه الوجـود ! هـذي جراح في فؤادي ، تشكو إليك الدواهي

هـذه زَفْـرةٌ يـُصَعِّـدهـا الهمُّ إلى مسمع الفضـاء الساهي

هـذه مهجـة الشقـاء تنـاجيك فهل أنت سامع يـا إلاهي ؟

أنتَ أنزلتني إلى ظلمة الأرض وقد كنتُ في صباحٍ زاه
كالشعاع الجميل، أسبَحُ في الأفْق وأصغي إلى خرير المياه
وأغنِّي بين الينابيع للفجر وأشدو كالبلبل التيَّاه
أنتَ أوصلتني إلى سبل الدنيا وهذي كثيرة الاشتباه
ثم خلَّفْتَني وحيدا ، فريدا بين داعٍ من الرياح وناه
أنتَ أوقفتني على لُجَّة الحزن وجرّعتني مرارة « آه ! »
أنتَ أنشأتني غريبا بنفسي بين قومي ، في نشوتي وانتباهي
أنتَ كرّهْتَني الحياةَ وما فيها وحَبَّبْتَني جُمُودَ الساهي
أنتَ جَبَّلْتَ بين جنْبيّ قلبا سرمديّ الشُّعور والانتباه
عبقريّ الأسى : تعذّبه الدنيا وتُشجيه ساحرات الملاهي !
أنت عذّبتني بدِقَّةِ حسِّي وتعقَّبْتَني بكلّ الدواهي
بالأسى ، بالسقام ، بالهم ،بالوحشة ، باليأس ، بالشقا المتناهي
بالمنايا تغتال أشهى أمانيّ وتُذوِي محاجري ، وشفاهي
فإذا مَنْ أُحِبُّ حفنةُ تُرْب تافهٍ ، من ترائب وجباه
وإذا فتنةُ الحياة وسحرُ الكون ضَرْبٌ من الغمام الزاهي
يتلاشى فوق الخضم : ويبقى اليمُّ كالعهد مُزْبِدَ الأمواه . . .

***

يـا إله الـوجـود ! مالك لا تَرْثِي لحزن المعذّب الأوّاه ؟

قد تأوّهتُ في سكون الليالي ثم أطبقتُ في الصباح شفاهي

وتغـزّلتُ بـالحياة ، وبـالحبّ ، وغنّيتُ كالسعيد اللاّهي

وزرعتُ الأحلام في قلبيَ الدامي ، وحوّطتها بكلّ انتباهي

ثـمّ لمّا حَصَدْتُ لم أَجْنِ إلاّ الشوكَ ، مـاذا ترى فعلتُ ؟ إلاهـي !

***

يـا رياحَ الوجود ! سيري بعنفٍ وتغنّيْ بصـوتـك الأوّاه

وانفحيني من روحك الفَخْم ما يُبْلِغُ صوتِي آذانَ هذا الإلاه

فهو يُصغِـي إلى القـويّ ، ولا يُصغي لصوتٍ بين العـواصف واه

وانشُـري الوردَ للثلوج بِدَاداً واصعقي كلّ بلبل تيّاه

فالوجـود الشقيُّ غير جدير بـالأغـاني ، وبالجمـال الـزّاهي

واسحقي الكائناتِ كوْنـا بكوْنٍ ، قبلَ أن تنتهي أذلّ تناه

فالإلاه العظيم لم يخلق الدنيـا سـوى للفنـاء تحت الـدواهي

***

يا ضمير الوجود ! يا عالم الأرواح ! يا أيها الفضاء الساهي !

يـا خِضمّ الحيـاةِ ، يـزخر في الآفاق في التـرب ، في قـرار الميـاه !

خبَـروني ، هل للورى من إلاهٍ ، راحمٍ – مثـل زعمهـم – أوّاه
يخلـق النـاسَ باسما ، ويواسيهم ، ويرنو لهم بعَطفٍ إلاهي
ويـرى في وجـودهـم روحَـه السامي ، وآياتِ فنّـه المتنـاهي
إننـي لـم أجـده في هـاتـه الدنيـا ، فهـل خلف أفقها من إلاه ؟ !
مـا الذيِ قد أتيـتَ يا قلبـيَ البـاكـي ؟ ! وماذا قد قلتِـه يا شفـاهـي
يـا إلاهي ! قد أنطـق الهـمُّ قلبـي بالـذى كان . . ، فاغتفر يا إلاهـي!
قَدَمُ اليأسِ والـكآبـةِ داستْ قلبـيَ المُتْعَبَ ، الغريبَ ، الواهي
فتشظَّى ، وتلك بعضُ شظايـاه . . ، فسامـحْ قنـوطَـه المتناهي
فهـو يـا ربِّ معبـدُ الحـقِّ ، والإيمانِ والنـورِ والنقـاءِ الإلاهـي
وهـو نايُ الجمالِ ، والحبِّ ، والأحلامِ ، لـكنْ قد حطّمتْه الدواهـي

25 جمادى الاولى 1348

29 اكتوبر 1929

النبيّ المجهول

أيها الشعب ! ليتني كنتُ حطّابا   فـأهـوِي على الجذوع بفـأسي !
ليتني كنتُ كالسيول ، إذا سالت   تهـدُّ القبـورَ : رمسا برمس !
ليتني كنت كالرياح ، فأطـوي   كلّ ما يخنق الزهور بنحسي !
ليتني كنت كالشتاء ، أُغـَشّي   كلّ ما أذبلَ الخريفُ بقرسي !
ليت لي قوّةَ العواصف ، يا شعبي   فـأُلقـي إليـك ثـوْرَةَ نفسي !
ليت لي قوةَ الأعاصير ، إن ضجـّت   فأدعـوك للحيـاة بنبسي !
ليت لي قوةَ الأعاصير .. ! لـكن   أنت حـيٌّ ، يقضي الحياة برمس..!
أنت رُوحٌ غـَبـِيـَّةٌ ، تـكره النـُّورَ ،   وتقضِي الدهورَ في ليْل ملْس..

أنت لا تـدرك الحقائق إنْ طـافتْ ... حواليك دون مَسٍّ وجسَ . . .
في صباح الحياة ضَمَّخْتُ أكوابي ... وأتـرعتُهـا بخمْـرةِ نفسي ...
ثـمّ قدّمتُها إليكَ ، فـأهرقْتَ ... رحيقـي ، ودُسْتَ يا شعبُ كأسي!
فتألـّمْتُ . . ، ثُم أسكتُّ آلامي ، ... وكـفكـفتُ من شعوري وحسّي
ثـم نَضَّدْتُ من أزاهير قلبـي ... بـاقةً لم يَمَسَّها أيُ إنْسِـي..
ثـم قدّمتُهـا إليك ، فمزّقْـتَ ... ورودي ، ودُستَها أيَّ دَوْسِ
ثـم ألبستَني من الحـزن ثـوبـا ... وبشـوك الجبـال تـوّجتَ رأسي

**

إنّني ذاهبٌ إلى الغاب ، يا شعبـي ... لأقضي الحياةَ ، وحدي ، بيـأس
إنني ذاهب إلى الغـاب ، علّي ... في صميم الغـابات أدفـن بؤسي
ثم أنساكَ ما استطعتُ ، فما أنتَ ... بـأهـلٍ لخمـرتـي ولكـأسي
سوف أتلو على الطيور أناشيدي ، ... وأفْضي لهـا بـأشـواق نفسي
فهي تدري معنى الحياة ، وتدري ... أنّ مَجْدَ النفوس يقظةُ حسّ
ثُمّ أَقْضي هناك ، في ظلمة الليل ، ... وألْـقِـي إلى الـوجود بيـأسي
ثمّ تَحْتَ الصَّنَوْبَرِ، الناضر، الحلو، ... تـخُـطُّ السيول حفرةَ رمسي
وتظَـلُّ الطيور تلغُو على قبْرِي ... ويشـدو النسيمُ فـوقي بهمس
وتظَلُّ الفصولُ تمشـي حواليّ ، ... كما كُـنّ في غضـارة أمسي

**

أيها الشعب ؟ أنتَ طفل صغير ، لاعبٌ بالتراب والليلُ مُغْس . !
أنتَ في الكون قوّةٌ ، لم تَسُسْها فكرةٌ عبقريَّةٌ ، ذات بأس
أنت في الكون قوةٌ ، كبَّلتْها ظلماتُ العصور ، من أمس أمس ..
والشقيُّ الشقيُّ من كان مثلي في حساسيَّتي ، ورِقَّةِ نفسي

****

هكذا قال شاعرٌ ، ناولَ الناسَ رحيقَ الحياة في خير كأس
فأشاحوا عنها ، ومرُّوا غضابا واستخفُّوا به ، وقالوا بيأس :
« قد أضاع الرشاد في ملعب الجن فيا بؤسه ، أصيب بمسٍّ »
« طالما خاطبَ العواطفَ في الليل وناجى الأموات في غير رمس »
« طالما رافقَ الظلامَ إلى الغاب ونادى الأرواحَ من كلّ جنس »
« طالما حدّثَ الشياطين في الوادي ، وغنّى مع الرياح بجَرس »
« إنّه ساحرٌ ، تعلّمهُ السحرَ الشياطينُ ، كلَّ مطلعِ شمس»
« فابعدوا الكافرَ الخبيثَ عن الهيكل إنّ الخبيثَ منبعُ رجس »
« أطردوه ، ولا تُصيخوا إليه فهو روحٌ شرِّيرةٌ ، ذات نحس »

****

هكذا قال شاعرٌ فيلسوف ، عاش في شعبه الغبيِّ بتعْس
جَهِلَ الناس روحَه ، وأغانيها فساموا شعورَه سومَ بخس

فهو في مذهب الحياة نبيٌّ وهو في شعبه مصابٌ بمسّ
هكذا قال ، ثمّ سار إلى الغاب ، ليحيا حياةَ شعر وقُدس
وبعيدا .. ، هناك.. ، في معبد الغاب الذي لا يُظلّه أيّ بؤس
في ظلال الصنوبر الحلو ، والزيتون يقضي الحياة : حَرْسا بحرس
في الصباح الجميل ، يشدو مع الطير، ويمشي في نشوة المتحسّي
نافخا نايَه ، حواليْه ، تهتزُّ ورودُ الربيع من كلّ فنس
شَعْرُه مُرْسَلٌ ، تداعبه الريحُ على منكبيْه مثل الدمقس
والطيورُ الطِّرابُ تشدو حواليه وتلغو في الدوح ، من كلّ جنس
وتراه عند الأصيل ، لدى الجدول ، يرنو للطائر المتحسّي
أو يغنّي بين الصنوبر ، أو يرنو إلى سُدْفَة الظلام الممسّي
فإذا أقبَل الظلامُ ، وأمستْ ظلماتُ الوجود في الأرض تُغسي (1)
كان في كوخه الجميل ، مقيما يسأل الكون في خشوع وهمس
عن مصبّ الحياة ، أين مداه ؟ وصميمِ الوجود ، أيّانَ يُرسي ؟
وأريجِ الورود في كلّ وادٍ ونشيدِ الطيور ، حين تمسّي
وهزيمِ الرياح ، في كل فجٍّ ورسومِ الحياةِ من أمس أمس
وأغاني الرعاةِ أين يُواريها سكونُ الفضا ، وأيّان تمسي ؟ ؟

* * *

(٤) أغسى الليل : أظلم

هكـذا يصرف الحيـاة ، ويُفني حَلَقَاتِ السنين : حَرْسا بحرس

يا لها من معيشةٍ في صميم الغاب تُضحي بيـن الطيـور وتمسي !

يا لها من معيشة ، لم تُدنّسْها نفـوس الـورى بخبث ورِجس

يا لها من معيشة ، هيَ في الـكون حيـاة غـريبـة ، ذات قُدس

20 شعبان 1348

21 جانفى 1930

الأبد الصغير

يا قلبُ ! كم فيكَ من دُنْيا محجَّبَةٍ
كأنَّها ، حين يبدو فجرُها « إرَمُ » (1)
يا قلبُ ! كمْ فيكَ من كونٍ ، قد اتّقدتْ
فيه الشُّموسُ وعاشتْ فوقهُ الأممُ
يا قلبُ ! كمْ فيكَ من أفْقٍ تُنَمِّقُهُ
كواكبٌ تتجلّى ، ثُمّ تنعدِمُ

(1) ارم : مدينة أسطورية أحاطتها الخرافات بجو خيالى مسحور ، فزعمت أنها بنيت على ضفة الجنة : ارضها من مسك وقصورها من خالص الذهب واللؤلؤ والمرجان ، وسماؤها من سحر مرصع بالأحلام .... ، وأنها لا زالت الى يومنا هذا فى صحراء العرب ، ولكنها محجوبة لا يراها أحد ..

يا قلبُ ! كمْ فيكَ من قبرٍ ، قد انطفَأتْ
فيه الحيـاةُ ، وضجَّتْ تحتهُ الرِّمَمُ
يا قلبُ ! كمْ فيكَ من غابٍ ومن جبَلٍ
تَـدوِي به الريحُ أو تسمو به القِمم
يا قلبُ ! كمْ فيكَ من كهفٍ قد انبجست
منه الجداولُ تجري ما لها لُجُمُ
تمشي.. ، فتحملُ غُصنا مُزْهِرا نَضِرا
أوْ وَرْدَةً لمْ تَشَوَّهْ حُسنَها قَدَمُ
أو نَحلـةً جرّها التيَّارُ مُندَفِعاً
إلى البحارِ ، تُغنّي فوقها الدِّيَمُ
أو طائراً ساحراً ميْتاً قد انْفجرتْ
في مُقلتَيْهِ جراحٌ جمَّةٌ ودمُ
يا قلبُ ! إنك كونٌ مُدْهِشٌ عَجَبٌ
إنْ يُسْأل الناسُ عن آفاقه يَجِمُوا
كأنك الأبدُ المجهولُ.. ، قد عَجَزَتْ
عنكَ النُّهَى ، واكفَهَرّتْ حولك الظُّلَمُ

***

يا قلبُ ! كمْ من مسرّاتٍ وأخيلة
ولذّة ، يتحامَى ظِلّها الألمُ
غنّتْ لفجرِكَ صوتا حالماً ، فرِحا ،
نَشْوَانَ ثم توارتْ ، وانقضى النّغمُ
وكم رأى ليلُكَ الأشباحَ هائمةً
مذعورة تتهاوى حولها الرُّجُمُ
ورَفْرَفَ الألمُ الدّامي ، بأجنحةٍ
من اللهيب ، وأنّ الحزنُ والنّدَمُ
وكمْ مشت فوقك الدُّنيا بأجمعها
حتّى توارتْ ، وسار الموتُ والعدمُ
وشيَّدَتْ حولك الأيّامُ أبنيةً
من الأناشيد تُبْنَى ، ثم تنهدِمُ

*

تمضي الحياةُ بماضيها ، وحاضرِها
وتذْهَبُ الشمسُ والشُّطْآنُ والقممُ
وأنتَ ، أنتَ الخِضَمُّ الرّحْبُ ، لا فَرَحٌ
يَبْقَى على سطحكَ الطّاغي ، ولا ألَمُ

*

يا قلبُ! كم قد تملّيْتَ الحياةَ ، وكمْ
رَقَّصْتَهَا مَرَحاً ما مسَّكَ السَّأمُ

وكمْ توشّحْتَ من ليلٍ ومن شَفَقٍ
ومن صباحٍ تُوشّي ذَيْلَهُ السُّدُمُ

وكم نسجْتَ من الأحلام أرديةً
قد مزّقتْها الليالي ، وهْيَ تبْتَسِمُ

وكم ضَفَرْتَ أكاليلاً مُورّدَةً
طارتْ بها زَعْزَعٌ تَدْوِي وتَحْتَدِمُ

وكمْ رسمتَ رسوماً ، لا تُشابهها
هذي العوالمُ ، والأحلامُ ، والنظُمُ

كأنها ظُلَلُ الفِرْدَوْسِ ، حافِلةً
بالحُورِ ، ثم تلاشَتْ ، واختفى الحُلُمُ

***

تبلُو الحياةَ فتبْلِيها وتَخلعها
وتستجدّ حياةً ، ما لها قِدمُ

وأنتَ أنتَ شبابٌ خالدٌ ، نضِرٌ
مثل الطبيعة : لا شيبٌ ولا هرَمُ

20 رمضان 1348

19 فيفرى 1930

صفحة من كتاب الدموع

غنّاه الأمسُ ، وأطربه　　وشجاه اليومُ ، فما غده ؟
قد كان له قلبٌ ، كالطفل ،　　يدُ الأحلام تهدّهده
مُذْ كان له مَلَكٌ في الكون　　جميلُ الطلْعَة ، يعبده
في جَوْفِ الليل ، يناجيه　　وأمامَ الفجر ، يمجّده
وعلى الهضبات ، يغنّيه　　آياتِ الحبّ ، ويُنشده
لولاه لما عَذُبَتْ في الـ　　ـكون مصادره وموارده
ولَمَا فاضتْ بالشّعْر الحـ　　ـيّ مشاعره وقصائده
تمشي في الغاب فتَتْبَعه　　أفراح الحُبّ ، وتنشده

ويرى الآفاقَ فيُبْصِرها زُمراً في النُّور، تُراصده
ويرى الأطيارَ، فيحسبُها أحلامَ الحبّ تغرّده
ويرى الأزهار، فيحسبها بَسماتِ الحبّ توادِدُه
فيخال الكونَ يناجيه! وجمالَ العالم يسعده!
ونجومَ الليل تضاحكه! ونسيمَ الغاب يطارده!
ويخال الوردَ يداعبه فرِحاً، فتعابثه يده! ..
ويرى الينبوعَ، ونَضرتَه، ونسيمُ الصُّبْح يجعِّده
وخريرُ الماءِ له نغَمٌ نسماتُ الغاب تردّده
ويرى الأعشاب وقد سمقت بين الأشجار تشاهده
ونِطافُ الطِّفل تُنَمِّقُها فيجلّ «الحبَّ» ويحمده

***

يا للأيّام! فكم سرّتْ قلْبا في الناس لِتكمده
هي مثل العاهر، عاشقُها تسقيه الخمر..، وتطرده!
يعطيكَ اليومُ حلاوتَها كالشّهد، ليسلبَها غدُه!

***

بالأمس يعانقها فرِحاً ويضاجعُها، فتُوَسِّده
واليومَ، يُسايرها شبَحاً أضناه الحزنُ، ونكّده

يتلو في الغـاب مـراثيَـــه وجـذوعُ السَّرْوِ تسانـده
ويماشي الناس ، وما أحـد منهـم يشجيـه تفـرُّده
في ليـل الوحشةِ مَسْـراه وبـكهف الوحدة مرقـده
أصوات الأمس تعذِّبـه وخيـال المـوت يُهـدِّده

***

بالأمس له شفقٌ في الـكون يضـيءُ الأفْـقَ تورُّدُه
واليـومَ ، لقد غشَّاه الليـلُ فما في العـالـم يُسْعـده
غنَّـــاه الأمسُ وأطربـه وشجـاه اليومُ ، فما غـده ؟

10 محرم 1349

7 جوان 1930

إلى عذارى أفروديت

الجَمَالُ المنشودُ

يا عذارى الجمال، والحبّ، والأحلام، بل يا بَهَاءَ هذا الوجود !
قد رأينا الشعورَ منسدلاتٍ كَلَّلَتْ حسنَها صِباحُ الورود
ورأينا الجفون تبسم . . ، أو تحلم بالنور ، بالهوى ، بالنشيد . . .
ورأينا الخدودَ ، ضرّجَها السِّحْرُ ، فآها من سحر تلك الخدود !
ورأينا الشفاهَ تبسم عن دنْيَا من الورد غضّةٍ ، أُمْلود
ورأينا النهود تهتزُّ ، كالأزهار في نشوة الشباب السعيد
فتنةٌ ، توقظ الغرام وتذكيه ، ولكنْ ماذا وراء النهود ؟
ما الذي خلْف سحرها الحالم، السكران، في ذلك القرار البعيد . . ؟

أنفوس جميلةٌ ، كطيور الغاب تشدو بساحر التغريد
طاهرات ، كأنّها أَرَجُ الأزهار في مولد الربيع الجديد ؟
وقلوبٌ مُضيئة ، كنجوم الليل ضَوّاعةٌ ، كغضّ الورود ؟
أم ظلامٌ ، كأنّه قِطَعُ الليل ، وهولٌ يُشيبُ قلبَ الوليد
وخِضَمٌّ ، يموج بالإثم والنُّكر ، والشرّ ، والضلال المديد ؟
لستُ أدري ، فرُبّ زهرٍ شذِيٍّ قاتل رغم حُسْنِه المشهود
صانكنّ الإلآه من ظلمةِ الروح ومن ضِلّة الضمير المَريد
إنّ ليلَ النفوس ليلٌ مُريعٌ سرمديُّ الأسى ، شنيع الخلود
يرزح القلب فيه بالألم المُرّ ، ويَشقى بعيشه المنكود
وربيع الشباب يُذبله الدهر ، ويمضي بحسنه المعبود
غير باقٍ في الكون إلاّ جمال الرُّوح غضًّا على الزمانِ الأبيد

22 صفر 1349

19 جويلية 1930

طريقُ الهَاوِيَة

يا عذارى الجمال، والحب، والأحلام، ... بـل يـا بهاءَ هذا الـوجود !

خلـق البلبـل الجميـل ليشـدو ... وخلقتـنّ للغـرام السعيـد

والوجودُ الرحيبُ كالقبر ، لولا ... مـا تُجلّين من قُطوب الوجود

والحيـاةُ التي تخِـرُّ لها الأحلامُ ... مـوتٌ مثقّلٌ بالقيـود . . .

والشبابُ الحبيبُ شيخوخةٌ تسعى ... إلى الموت في طـريق كؤود . . .

والـربيعُ الجميلُ في هاته الدنيا ... خريفٌ يُذْوِي رفيفَ الورود . . .

والورودُ العِذابُ في ضفّة الجدول ... شـوكٌ ، مُصفّحٌ بالحديـد . . .

والطيورُ التي تُغنّي ، وتقضي ... عَيْشَهـا في تـرنّـمٍ وغريـد ؟

إنّها في الوجود تشكو إلى الأيّام عبءَ الحياة بالتغريد . . .
والأناشيد ؟ إنّها شهقاتٌ تتشظّى من كلّ قلب عَميد . . .
صورةٌ للوجود شوْهاءُ ، لولا شفَقُ الحسن فوق تلك الخُدود

* * *

يا زهور الحياة ، للحبّ أنتنّ ، ولكنّه مُخيفُ الورود
فسبيلُ الغرام جمٌّ المهاوي وافرُ الهول ، مسترابُ الصعيد
رغمَ ما فيه من جمال ، وفنٍّ عبقريّ ، ما إنْ له من مزيد
وأناشيدَ ، تُسْكِرُ المَلأ الأعلى ، وتُشْجِي جوانحَ الجلمود
وأريجٍ ، يكاد يذهب بالألباب ما بين غامضٍ وشديد
وسبيلُ الحياة رحْبٌ ، وأنتنّ اللّواتي تفرشنه بالورود
إن أردتُنّ أن يكون بهيجا رائع السحر ، ذا جمالٍ فريد
أو بشوكٍ ، يُدمِي الفضيلةَ والحبّ ويقضي على بهاء الوجود
إن أردتُنّ أن يكون شنيعا ، مظلّم الأفْقِ ميّتَ التغريد

22 صفر 1349
19 جويلية 1930

يا حُماةَ الدّين

لقد نام أهلُ العلم نوما مغنطَسا — فلم يسمَعوا ما ردّدَتْهُ العوالمُ
ولكنّ صوتاً صارخا ، متصاعدا — من الروح يَدري كنهَه المتصامِمُ
سيُوقِظُ منهم كلّ مَن هو نائمٌ — ويُنْطِقُ منهم كلَّ مَن هو واجِم

***

سكتُّمْ حُماةَ الدين ! سكتةَ واجمٍ — ونِمتم بملء الجَفن ، والسيلُ داهم
سكتم ، وقد شِمْتُمْ ظلاما ، غضونُه — علائمُ كفرٍ ثائرٍ ومعالم
مواكب إلحادٍ وراء سكوتِكم — تضِجّ ، وها إنّ الفضاء مآثم
أفيقوا فليلُ النوم ولّى شبابُه — ولاحت لِلألاءِ الصباح علائم

فدونَ ضجيجِ الفاسقين سكينةٌ هي الموت ، ممّا أورثتْه التّمائم

عوائدُ تُحيي في البلاد نوائبا تقُدّ قوام الدين ، والدينُ قائم

أفيقوا . وهُبّوا هبّةً ضيْغميّةً ولا تُحجموا ، فالموتُ في الجُبْن جاثم

فدون نقابِ الصّمت تنمو ملامح تبرقعت الشرَّ الذي لا يقاوَم

فقد فتّ في زَنْدِ الديانة معشرٌ أثاروا على الاسلام مَن قد يهاجم

فوا الحقِّ ، ما هذي الزوايا وأهلُها سوى مصنعٍ فيه تُصَاغُ السّخائم

لحى الله من لم تسْتثره حميةٌ على دينه ، إن داهمتْه العظائم

لحى الله قوما ، لم يُبالوا بِأسْهُمٍ يُصوّبها نحو الديانةِ ظالم

16 جمادى الاولى 134 (1)

---

(1) هكذا بالأصل المكتوب بخط الشاعر

شَجُون

عجبا لي ! أودُّ أن أفْهَمَ الكونَ ، ونفسي لم تستطع فهم نفسي !
لم أُفِدْ من حقائق الكون إلاّ أنّني في الوجود مُرْتَادُ رمس
كلُّ دهر يمُرُّ يفجع قلبي ليت شعري ! أيْنَ الزمان المُؤَسِّي
في ظلام الكهوف أشباحُ شؤمٍ وبهذا الفضاء أطيافُ نحس
وخلالَ القصور أنّاتُ حُزْنٍ وبتلك الأكواخ أنضاء بؤس !
والقضاءُ الأصمُّ يعتسف الناسَ ويَمْضي ما بين سيف وقوس !

***

هذه صورة الحياة ، وهذا لونُها في الوجود ، من أمس أمس
صورةٌ للشقاء دامعة الطرف ولونٌ يسودُّ في كل طِرس

5 جمادى الثانية 1349

28 اكتوبر 1930

الأشواق التائهة

يا صميمَ الحياة ! إنّي وحيدٌ　　　مدْلجٌ ، تائه . فأين شروقُكْ ؟
يا صميم الحيـاة ! إنّي فـؤادٌ　　　ضائع ، ظامىءٌ . فأين رحيقك ؟
يا صميم الحياة ! قد وجَـمَ النّايُ　　　وغام الفضا . فأيـن بروقك ؟
يا صميم الحياة ! أين أغانيك !　　　فتحت النجوم يُصغِـي مَشوقك

***

كنتُ في فجرك الموشّح بالأحلام ، عِطْرا ، يرِفُّ فوق ورودِكْ
حالماً ، ينهل الضياءَ ، ويُصغي　　　لكَ ، في نشوةٍ بوحي نشيدك
ثمّ جاء الدجى . . فأمسيتُ أوراقا ، بدادا ، من ذابلات الورود

وضبابا من الشّذى ، يتلاشى   بين هول الدجى وصمت الوجود
كنتُ في فجركَ المغلّف بالسحر ،   فَضَاءً من النشيد الهادي
وسحابا من الرُّؤى ، يتهادى   في ضمير الآزال والآباد
وضياءً ، يعانق العالَمَ الرحب ، ويسري في كل خافٍ وبادِ
وانقضى الفجرُ . . ، فانحدرتُ من الأفق ترابا إلى صميم الوادي

***

يا صميم الحياة ! كم أنا في الدنيا غريبٌ ! أشقى بغربة نفسي
بين قومٍ ، لا يفهمون أناشيدَ فؤادي ، ولا معاني بؤسي
في وجودٍ مكبّل بقيودٍ ،   تائهٍ في ظلام شكّ ونحس
فاحتضِنّي ، وضُمّني لك – كالماضي – فهذا الوجودُ علّةُ يأسي

***

لم أجد في الوجود إلا شَقَاءً ،   سرمديًّا ، ولَذّةً ، مضمحلّه
وأمانيّ ، يُغرق الدمعُ أحلاها ، ويُفني يمُّ الزمان صداها
وأناشيدَ ، تأكل اللّهَبُ الدّامي مسرّاتِها ، ويُبْقِي أساها
وورودا ، تموت في قبضة الأشواك . ما هذه الحياة المُمِلّة ؟ !
سأمٌ هذه الحياة مُعَادٌ   وصباحٌ ، يكرُّ في إثر ليل

ليتني لم أفِدْ إلى هذه الدنيا ، ولم تسبح الكواكب حولي !
ليتني لم يعانق الفجر أحلامي ، ولم يلثم الضياءُ جفوني !
ليتني لم أزل — كما كنت — ضوءً ، شائعا في الوجود، غيرَ سجين !

5 شعبان 1349

26 ديسمبر 1930

أحلام شاعر

ليت لي أن أعيش في هذه الدنيا   سعيدا بوحدتي وانفرادي
أصرف العمر في الجبال، وفي الغابات،   بين الصنوبر الميَّاد
ليس لي من شواغل العيش ما يصرف   نفسي عن استماع فؤادي
أرقبُ الموتَ ، والحياةَ ، وأصغِي   لحديث الآزال والآباد
وأغنِّي مع البلابل في الغاب ،   وأصغِي إلى خرير الوادي
وأناجي النجومَ والفجرَ ، والأطيارَ   والنهرَ . والضياءَ الهادي
عِيشةً للجمال، والفن ، أبغيها   بعيدا عن أمَّتِي وبلادي
لا أعنِّي نفسي بأَحزْانِ شعبي   فهو حيٌّ ، يعيش عَيْشَ الجماد !
وبحسبي من الأسى ما بنفسي   من طريفٍ مُسْتَحْدَثٍ ، وتِلاد

وبعيدا عن المدينة ، والناس ، بعيـدا عن لغـو تلك النـوادي
فهو من معدن السخافة والإفـك ومن ذلك الهُراء العـادي
أيْنَ هُوَ مِن خريرِ ساقية الـوادي وخفْقِ الصدى ، وشدوِ الشـادي
وحفيفِ الغِصون ، نمَّقها الطـلُّ وهمسِ النسيم للأوْراد ؟
هذه عِيشـةٌ تقـدّسها نفسي وأدعو لمجدهـا ، وأنـادي

16 ذو القعدة 1349

4 افريل 1931

قيود الأحلام

وأوَدُّ أنْ أحيا بفكرة شاعر   فأرى الوجودَ يضيق عن أحلامي
إلاّ إذا قطّعتُ أسبابي مع الدنيا   وعشتُ لوحدتي وظلامي
في الغاب ، في الجبل البعيد عن الورى   حيث الطبيعةُ ، والجمال السامي
وأعيشُ عِيشَةَ زاهدٍ مُتَنَسِّكٍ   ما إنْ تُدَنِّسه الحياة بذام
هَجَرَ الجماعةَ للجبال ؛ تورُّعا   عنها وعن بطش الحياة الدامي
تمشي حواليْه الحياة كأنّها   الحلمُ الجميل ، خفيفةَ الأقدام
وتَخِرُّ أمواج الزمان بهيبةٍ   قدسيّةٍ ، في يمِّها المترامي
فأعيش في غابي حياةً ، كلّها   للفنِّ للأحلام ، للإلهام

لكنني لا أستطيع ، فإنّ لي أمًّا . يصدُّ حنانُها أوهامي
وصِغارَ إخوانٍ ، يرون سلامهم في الكائنات معلّقا بسلامي
فقدوا الأب الحاني . فكنتُ لضعفهم كهفًا يَصُدُّ غوائلَ الأيام
ويَقيهمُ وَهَجَ الحياة ، ولفحَها ويَذود عنهم شِرّةَ الآلام
فأنا المكبَّلُ في سلاسلَ ، حيّةٍ ، ضحّيْتُ من رأفِي بها أحلامي
وأنا الذي سكَنَ المدينة ، مُكْرَهاً ومشى إلى الآتي بقلبٍ دام
يصغي إلى الدنيا السخيفةِ راغما ويعيش مثلَ الناس بالأوهام
وأنا الذي يحيا بأرض ، قفرةٍ مدحوّةٍ للشكّ والآلام . . .
هجمتْ بيَ الدنيا على أهوالها وخِضمِّها الرحب ، العميق الطامي
من غير إنذارٍ فأحملَ عُدّتي وأخوضَه كالسابح العوّام
فتحطّمتْ نفسي على شطآنه وتأجّجتْ في جوِّه آلامي

*
* *

الويل في الدنيا التي في شرْعِها فأسُ الطّعام كريشةِ الرسّام ؟

7 صفر 1350
24 جوان 1931

(؟)

أرى هيكلَ الأيّام يعلو ، مُشيَّداً   ولا بدّ أن يأتي على أُسِّه الهدمُ

فيُصبِحُ ما قد شيَّد اللهُ والورى   خرابا ، كأنّ الكلّ في أمسه وهم !

فقل ليَ : «ماجدْوَى الحياةِ وكرْبِها،   وتلك التي تذوِي ، وتلك التي تنمو؟ »

« وفوْجٍ ، تغذّيه الحياةُ لِبانَها ،   وفوْجٍ ،يُرى تحت التراب له ردم ؟ »

« وعقْلٍ ،من الأضواء ، في رأس نابغ   وعقلٍ ، من الظلماء ، يحمله قدْم ؟ »

« وأفئدةٍ حسرى ، تذوب كآبة   وأفئدةٍ سكرى، يرِفُّ لها النجم ؟ »

لِنحْسِ الورى ،شاء الإلاه وجودَهم   فكان لهم جهلٌ ، وكان لهم فهمُ !!

25 ربيع الاول 1350

10 اوت 1931

رثاء فجر

يـا أيها الغاب ، المُنَمَّقُ بالأشعَّةِ والورودْ !
يـا أيهـا النّور النقـيُّ ! وأيُّها الفجر البعيـد !
أيـن اختفيتَ ؟ ومـا الذي أقصاكَ عن هذا الـوجود
آهٍ ! لقـد كـانت حياتي فيك حالمةً تميد
بيـن الخمـائل ، والجداول ، والترنّـم ، والنشيد
تُصغِـي لنجواكَ الجميلةِ ، وهي أغنيةُ الخلود
وتعيش في كونٍ من الغَفَلات ، فتَّـانٍ ، سعيد

آ هٍ ! لقـد غنّى الصباحُ ، فـَدَمـْدَمَ الليلُ العتيـد
وتألّق النجمُ الوضيءُ ، فأعـْتمَ الغيمُ الركود
ومضى الـرّدى بسعـادتي ، وقضى على الحب الوليد

1 جمادى الاولى 1350

14 سبتمبر 1931

أنا أبكيك للحب

لستُ يا أمسيَ أبكيك لِمَجْدٍ أو لجاهْ
سلبته منّيَ الدُّنيا ، وبزّتْني رداهْ
فأنا أحتقرُ المجدَ وأوهامَ الحياهْ

*
* *

أو لعُمْرٍ ، بلغتْ منه الليالي منتهاهْ
وتلاشتْ في خضمِّ الزّمَنِ الطاغي قواهْ
فأنا ما زلت في فجر شبابي أو ضُحاه

*
* *

لا ، ولا أبكيكَ يا أمسي ، إذا ما قلت : « آه ْ »
لنعيمٍ ، لم ينَلْ قلبيَ منه مُشْتهاه ْ
فبنُو الأيّام في الدنيا كما شاء الإلاه

*
* *

إنّما أبكيك للحبِّ ، الذي كان بهاه ْ
يَملأ الدنيا فأنّى سرتُ في الدُّنيا أراه ْ
فإذا ما لاحَ فَجْرٌ ، كان في الفجر سناه ْ
وإذا غرّد طيرٌ ، كان في الشدْو صداه
وإذا ما ضاع عِطْرٌ ، كان في العطر شذاه ْ
وإذا ما رفّ زهرٌ ، كان في الزّهر صِباه ْ
فهو في الكون جمالٌ ، يَملأ الأفْقَ ضِياه ْ
وتُوَشِّي هذه الأكوانَ بالسِّحر رُؤاه ْ
وهو في قلبي — الذي عانقه الفجرُ — إلاه ْ !
عبْقريُّ السِّحرِ ، مِمراحٌ وديعٌ في سماه ْ
يَنْسجُ الأحلامَ في قلبي بأضواء الحياه ْ
ويُغنِّيني ، فأنسَى في مسرّاتِ غِناه ْ
كلّ ما في الكون من حزنٍ وأفراحٍ ، عَداه ْ

8 جمادى الاولى 1350
21 سبتمبر 1931

أبناء الشيطان

أيُّ نـاس هذا الـورى ؟ ما أرى إلاّ بـرايـا ، شقيَّـةً ، مجنـونهْ
جبلَتْهـا الحياةُ في ثورة اليـأسِ مـن الشـرّ ، كـيْ تـُجَنّ جنـونه
فـأقامتْ لـه المعـابدَ ، في الـكون ، وصلَّت لـه وشادت حصونهْ

***

كم فتاةٍ ، جميلةٍ ، مَدَحُوهَا وتغنَّـوْا بها لـكيْ يُسْقِـطُوها
فـإذا صانت الفضيلةَ عابوها ، وإن باعتْ الخنا عبـدوهـا
أصبحَ الحسن لعنةً ، تهبِط الأرضَ ، ليغوَى أبناؤُها وذووها

***

وشقيٍّ ، طاف المدينةَ . يستجدي ليحيا ، فخيَّبوه احتقارا
أيقظوا فيه نزعةَ الشرِّ ، فانقضّ على الناسِ فاتكا جبَّارا
يبذر الرُّعبَ في القلوب ، ويُذكِي — حينما حلّ — في الجوانح نارا

* * *

ونبيءٍ قد جاء للناس بالحقّ ، فكالوا له الشتائمَ كيْلا
وتنادَوْا به : « إلى النار ! فالنار بروح الخبيث أحرى وأوْلى »
ثُمّ ألقوْه في اللهيب ، وظلّوا يملأون الوجودَ رُعبا وهوْلاَ

* * *

وشعوبٍ ضعيفةٍ ، تتلظّى في جحيم الآلامِ عامًا فعاما
والقويُّ الظلومُ يَعْصِرُ من آلامها السُّودِ لَذّةً ومُدَاما
يتحسَّاه ضاحكا . . ، لا يراها خُلِقَت في الوجود إلاّ طعاما !

* * *

وفتاةٍ حسبتُها مَعْبَدَ الحبِّ ، فألفيت قلبَها مَاخُورا !
ونبيلٍ وجدته في ضياء الفجر قلبا مُدَنَّسا شرِّيرا !
وزعيمٍ أجلّه النَّاسُ حتّى ظنّ في نفسه إلاها صغيرا !

* * *

وخبيثٍ ، يعيشُ كالفأسِ ، هدّاما ، لِيُعْلِيَ بينَ الخراب بناءَهْ
وقميءٍ ، يُطاوِلُ الجبَلَ العالِي ، فللّه ما أشدّ غباءَهْ !

ودنيءٍ ، تاريخُه في سِجِلِّ الشرِّ : إفكٌ ، وقِحَّةٌ ، ودناءه ْ

***

كان ظنِّي أنّ النفوس كِبارٌ فوجدتُ النفوس شيئا حقيرا
لوّثتْهُ الحياةُ ثمّ استمرّتْ تبذرُ العالَمَ العريضَ شرورًا
فاحصدوا الشّوْكَ . . . يا بنيها وضِجّوا
واملأوا الأرض والسماء حبورا

17 جمادى الاولى 1350

30 سبتمبر 1931

صلوات في هيكل الحب

عذبةٌ أنتِ كالطفولةِ ، كالأحلام   كاللحن ، كالصباح الجديد
كالسماء الضحوك كالليلة القمراء   كالورد ، كابتسام الوليد
يا لها من وداعةٍ وجمال   وشباب مُنَعَّم أُمْلود !
يا لها من طهارةٍ ، تبعثُ التقديـ   ـس في مهجة الشقيِّ العنيد ! . . .
يا لها رقَّةً تكادُ يَرفُّ الوَرْ   دُ منها في الصخرة الجلمود !
أيُّ شيء تُراكِ ؟ هل أنتِ «فينيس»   تَهادتْ بين الورى من جديد
لتُعيدَ الشبابَ والفرح المعسولَ   للعالم التعيسِ العميد !
أم ملاكُ الفردوس جاء إلى الأر   ض ليُحْيِ روحَ السلام العهيد !

أنتِ . . . ، ما أنتِ ؟ رسمٌ جميلٌ   عبقريٌّ من فنٍّ هذا الوجود
فيكِ ما فيه من غموضٍ وعمقٍ   وجمالٍ مُقَدَّسٍ معبود
أنتِ.. ما أنتِ ؟ أنتِ فجرٌ من السحر   تجلّى لقلبيَ المعمود
فأراه الحياةَ في مونِقِ الحسن   وجلّى له خفايا الخلود
أنتِ روح الربيع ، تختال في الدنيا   فتهتزُّ رائعاتُ الورود
وتهبُّ الحياة سكرى من العِطْر ، ويدْوي الوجودُ بالتغريد
كلّما أبْصرتكِ عيناي َ تمشين   بخطوٍ موقَّعٍ كالنّشيد
خفَقَ القلبُ للحياة ، ورفّ الزّهرُ في حقل عمريَ المجرود
وانتشتْ روحيَ الكئيبةُ بالحبِّ   وغنّتْ كالبلبل الغرِّيد
أنتِ تُحيينَ في فؤاديَ ما قد   مات في أمسيَ السعيدِ الفقيد
وتشيدين في خرائب روحي   ما تلاشى في عهديَ المجدود
من طموح إلى الجمالِ إلى الفنِّ ،   إلى ذلك الفضاءِ البعيد
وتَبُثّين رِقّةَ الشوق ، والأحلامِ   والشدوِ ، والهوى ، في نشيدي
بعد أن عانقتْ كآبةُ أيّامي   فؤادِي ، وألجمتْ تغريدي
أنت أنشودة الأناشيد غنّاكِ   إلاهُ الغناءِ ، ربُّ القصيد
فيكِ شبّ الشّبابُ ، وشّحهُ السِّحْرُ   وشدوُ الهوى ، وعِطْرُ الورود
وتراءى الجمالُ ، يرقص رقصا   قُدُسيّاً ، على أغاني الوجود

وتهادتْ في أفْقِ روحِكِ أوْزانُ الأغاني ، ورقّةُ التغريد
فتمايلتِ في الوجود ، كلحْنٍ عبقريّ الخيالِ حلوِ النشيد :
خطواتٌ ، سكْرانةٌ بالأناشيد ، وصوتٌ ، كرجْع ناي بعيد
وقوامٌ ، يكاد ينطق بالألحان في كلّ وقفةٍ وقعود
كلُّ شيءٍ موقَّعٌ فيكِ ، حتّى لفْتَةُ الجيد ، واهتزازُ النّهود
أنتِ . . ، أنتِ الحياةُ في قدْسها السامي ، وفي سحرها الشجيّ الفريد
أنتِ . . ، أنتِ الحياةُ ، في رقّةِ الفجر في رونق الربيع الوليد
أنتِ . . ، أنتِ الحياةُ ، كلّ أوانٍ في رُواءٍ من الشباب ، جديد
أنتِ . . ، أنتِ الحياةُ فيكِ وفي عينيْكِ آياتُ سحرها الممْدُود
أنتِ دنيا من الأناشيد والأحْلام والسحْر والخيال المديد
أنتِ فوْق الخيال ، والشّعرِ ، والفنّ وفوْق النُّهَى وفوق الحدود
أنتِ قُدْسي ، ومَعبدي ، وصباحي ، وربيعي ، ونَشْوَتي ، وخلودي

***

يا ابنةَ النُّور ، إنّني أنا وَحْدي مَن رأى فيك رَوْعةَ المعبود
فدَعيني أعيشُ في ظلّك العذب وفي قرب حُسنك المشهود
عيشةً للجمال ، والفن ، والإلهام والطُّهْر ، والسنَى ، والسجود
عيشةَ الناسك البتُول يُنَاجي الربّ في نشْوَةِ الذُّهول الشديد

وامنحيني السلامَ والفرحَ الرو حيَّ يا ضَوْءَ فجريَ المنشود
وارحميني ، فقدْ تهدّمتُ في كو نٍ من اليأس والظلام مَشيد
أنقذيني من الأسى ، فلقد أمسيتُ لا أستطيع حملَ وجودي
في شعاب الزّمان والموت أمشي تحت عِبْءِ الحياة جَمَّ القيود
وأماشي الورَى ونفسيَ كالقبرِ ، وقلبي كالعالم المهدود :
ظُلْمَةٌ ، ما لها ختامٌ ، وهولٌ شائعٌ في سكونها الممدود
وإذا ما استَخفّني عَبَثُ الناس تبسَّمتُ في أسَى وجُمُودِ
بسمةً مُرّةً ، كأنّيَ أستلُّ من الشَّوْك ذابلاتِ الورود
وانْفخي في مشاعري مَرَحَ الدنيا وشُدّي من عزميَ المجهود
وابعثي في دمي الحرارةَ ، علّي أتغنّى مع المُنى من جديد
وأبُثُّ الوجودَ أنغامَ قلبٍ بُلْبُليٍّ ، مكبَّلٍ بالحديد
فالصباحُ الجميلُ يُنعشُ بالدّفْءِ حياةَ المُحطّم المكدود
أنْقذيني ، فقد سئمتُ ظلامي ! أنْقذيني ، فقد ملَلتُ ركودي ؟

***

آهِ يا زهرتي الجميلةَ لو تدرين ما جَدّ في فؤاديَ الوحيد
في فؤادي الغريبِ تُخْلَقُ أكوانٌ من السحر ذاتُ حسن فريد
وشموسٌ وضّاءةٌ ونجومٌ تنشر النورَ في فضاءٍ مديد

وربيعٌ كأنّه حُلُمُ الشّاعرِ   في سَكرة الشباب السعيد
ورياضٌ لا تعرف الحَلَكَ الداجِي   ولا ثورةَ الخريف العتيد
وطيورٌ سحريّةٌ تتناغَى   بأناشيدَ حلوةِ التغريد
وقصورٌ كأنّها الشَفَقُ المخْضُوب   أو طلعةُ الصباح الوليد
وغيومٌ رقيقة تتهادى   كأباديدَ من نُثَارِ الورود
وحياةٌ شعريّةٌ هي عندي   صورةٌ من حياة أهل الخلود
كلُّ هذا يشيده سحرُ عينيك   وإلهامُ حسنك المعبود
وحرام عليكِ أن تهدمي ما   شادهُ الحُسنُ في الفؤاد العميد
وحرام عليكِ أن تسْحَقي آمالَ   نفسٍ تصبو لعيشٍ رغيد
منكِ ترجو سعادةً لم تجدها   في حياة الورى وسحر الوجود
فالإلاهُ العظيمُ لا يَرْجُمُ العَبْدَ   إذا كان في جلال السجود

30 جمادى الاولى 1350

13 اكتوبر 1931

أراكِ

أراكِ ، فتحلو لـديّ الحيـاة ويملأ نفسي صباحُ الأملْ
وتنمو بصدري وُرودٌ عـِذابٌ وتحنو على قلبـيَ المشتعـلْ
ويفْتِنُنيَ فيكِ فيضُ الحياة وذاك الشّبابُ الوديعُ ، الثمِل
ويفتنني سحرُ تلك الشفاه ترفـرف من حولهن القُبَـل
فـأعبُدُ فيكِ جمالَ السماء ، ورقّةَ وَرْدِ الربيع ، الخضِل
وطُهـرَ الثلوج ، وسِحْرَ المروج مُـوَشّحَةً بشعاع الطّفَلْ

***

أراكِ ، فأُخْلَقُ خَلْقا جديدا كأنّيَ لم أبْلُ حربَ الوجودْ
ولم أحتمل فيه عِبئا ، ثقيلاً من الذكريات التي لا تَبيدْ

وأضغاثِ أياميَ ، الغابرات وفيها الشقيُّ ، وفيها السعيدْ
ويغمُرُ روحي ضياءٌ ، رفيقٌ تُكلّله رائعاتُ الورود
وتُسْمِعُني هاته الكائناتُ رقيقَ الأغاني ، وحُلْوَ النشيد
وترقص حولِي أمانٍ ، طِرابٌ وأفراحُ عُمْرٍ خَلِيٍّ ، سعيد

***

أراكِ ، فتخفق أعصابُ قلبي وتهتزُّ مثلَ اهتزاز الوتَرْ
ويُجري عليها الهوى ،في حُنُوٍّ أناملَ ، لُدْناً ، كرَطْب الزهر
فتخطو أناشيدُ قلبيَ ، سكْرَى تغرِّدُ ، تحت ظِلالَ القمرْ
وتملأني نشوةٌ ، لا تُحَدُّ كأنّيَ أصبحتُ فوقَ البشرْ
أوَدُّ بروحي عناقَ الوجودِ بما فيه من أنفُسٍ ، أو شجر
وليلٍ يفرُّ ، وفجرٍ يكرُّ، وغَيْمٍ يُوَشّي رداءَ السحر

11 جمادى الثانية 1350
24 اكتوبر 1931

فكرة الفنان

عش بالشّعور ، وللشّعور ، فإنّما　　دنياكَ كونُ عواطفٍ وشعورِ
شِيدَتْ على العطفِ العميق ، وإنّها　　لَتَجِفُّ لو شِيدتْ على التفكيرِ
وتَظلُّ جامدةَ الجمال ، كئيبةً　　كالهيكلِ ، المتهدِّم ، المهجور
وتظَلّ قاسيةَ الملامحِ ، جَهْمَةً　　كالموتِ ، مُقْفِرَةً ، بغيرِ سرور
لا الحُبُّ يرقص فوقها متغنِّيا　　للناس ، بين جداولٍ وزهور
مُتَوَرِّدَ الوجَنَاتِ سكرانَ الخطى　　يهتزُّ من مَرَحٍ ، وفرْط حبور
متكلِّلاً بالورْدِ ، ينثر للورى　　أوراقَ وردِ « اللّذة » المنضور
كلاّ ! ولا الفنُّ الجميلُ بظاهرٍ　　في الكون تحت عمامةٍ من نور
مُتَوَشِّحا بالسِّحْر ، ينفُخ نايَه الـ　　ـمشبوبَ بين خمائلٍ وغدير

أو يلمس العودَ المقدّسَ ، واصفا للمـوت ، للأيّـام ، للديجـور
مـا في الحيـاة من المسرّة ، والأسى، والسِّحْر ، واللّذّات ، والتغرير
أبدا ولا الأملُ المُجَنّحُ مُنْشِدا فيهـا بصـوت الحالم المحبـور
تلك الأناشيد التي تَهَبُ الورى عزْمَ الشبابِ ، وغبْطةَ العصْفور

***

واجعـل شعورَك ، في الطبيعة قائدا فهـو الخبيـر بتيههـا المسحـور
صَحِبَ الحياةَ صغيرةً ، ومشى بها بين الجماجم ، والـدمِ المهدور
وعَدَا بها فـوق الشواهِق ، باسما متغنّياً ، من أعصُرٍ ودهـور
والعقلُ ، رغـمَ مَشيبِه ووَقاره ، مـا زال في الأيّام جِدَّ صغيـرِ
يمشي.. ، فتصرعه الرياح ، فيَنْثَني مُتَوجِّعاً ، كالطائر المكسور
ويظلُّ يسألُ نفسه ، متفلسفاً مُتَنَطِّسا ، في خِفَّةٍ وغرور :
عمَّا تُحَجِّبُهُ الكواكبُ خلفَها من سرِّ هـذا العالَم المستـور
وهو المهشَّمُ بالعواصف.. ! يا لَهُ من ساذجٍ ، متفلسفٍ ، مغـرور !

***

وافتحْ فـؤادكَ للوجود ، وخلِّه لليـمِّ ، لـلأمـواج ، للـدّيجـور
للثّلج تنثُرُهُ الـزوابعُ للأسى، للهـوْل ، لـلآلام ، للمقـدور
واتركه يقتحم العواصف . ، هائما في أفْقهـا ، المتلبّدِ ، المقرور

ويخوض أحشاءَ الوجود ، مُغَامِرا   في ليلِها المتَهيِّبِ ، المحذور
حتّى تعانقَه الحياةُ ، ويرتوي   من ثغرِها المتأجّجِ ، المسجور
فتعيشَ في الدنيا بقلب زاخرٍ   يقِظِ المشاعِرِ ، حالمٍ ، مسحور
في نشوةٍ صُوفيَّةٍ ، قدُسيّةٍ ،   هيَ خير ما في العالَم المنظور

25 جمادى الثانية 1350

7 نوفمبر 1931

سرّ النهوض

لا ينهض الشعبُ إلاّ حين يدفعه عزمُ الحياة . إذا ما استيقظتْ فيهِ
والحبُّ يخترق الغبراءَ ، مندفعا إلى السماء ، إذا هبّتْ تناديهِ
والقيدُ يألفُهُ الأمواتُ ، ما لبثوا أمّا الحياةُ فيُبْليها وتُبْليهِ

1 رجب 1350

12 نوفمبر 1931

قلبُ الأمّ

يـا أيُّهـا الطفـلُ الذي قد كان كاللّحن الجميـلْ
والـوردةِ البيضاءِ ، تعبَق في غيابات الأصيـلْ
يـا أيُّها الطفـلُ الذي قد كان في هذا الـوجودْ ،
فَرِحـا ، ينـاجي فتنـةَ الدنيـا بمعسول النّشيـد
هـا أنتَ ذا أطبقتْ جفنَيْكَ أحلامُ المَنـونْ
وتطايرتْ زُمَرُ الملائكِ حولَ مضجعِكَ الأمينْ
ومضتْ بـروحكَ للسماء عرائسُ النُّورِ الحبيبْ
يحملْنَ تيجانـا مُذَهَّبَةً ، من الزّهَرِ الغريبْ

ها أنت ذا قد جلَّلَتْكَ سكينةُ الأبدِ الكبيرْ
وبكتك هاتيك القلوبُ . وضمَّك القبرُ الصغير
وتفرّق الناسُ الذين إلى المقابر شيَّعوكْ
ونسُوكَ من دنياهُمُ ، حتّى كأنْ لم يعرفوك
شغلتهُمُ عنك الحياةُ ، وحربُ هذي الكائناتْ
إنّ الحياةَ — وقد قضيْتَ قُبَيْلَ معرفةِ الحياةْ —
بحرٌ ، قرارتُه الرّدى ، ونشيدُ لُجَّته شكاةْ
وعلى شواطئه القلوبُ تئنُّ داميةً عُراةْ
بحرٌ ، تجيشُ به العواصفُ في العشيّةِ والغداةْ
وتُظلِّهُ سُحُبُ الظلام ، فلا سكونَ ولا إياةْ
نَسِيَتْكَ أمواجُ البُحيْرَةِ ، والنجومُ اللاّمعه
والبلبلُ الشادي ، وهاتيك المروجُ الشاسعه
وجداولُ الوادي النضيرِ برقصها وخريرها
ومسالكُ الجبل الصغير بعُشْبها وزُهورها
حتَّى الرفاقُ . . ، فإنّهم لبثوا مدًى يتساءلونْ
في حيرةٍ مشبوبةٍ : « أين اختفى هذا الأمين ؟ »
لكنّهم علِموا بأنّك في اللّيالي الداجيه

حملتْكَ غيلانُ الظلامِ إلى الجبال النائيه

فنسُوكَ مثلَ الناس . . ، وانصرفوا إلى اللّهو الجميل

بينَ الخمائلِ ، والجداولِ ، والروابي ، والسُّهول

ونسُوا وداعةَ وجهك الهادي ، ومنظَرَكَ الوسيم

ونسُوا تَغَنِّيكَ الجميلَ بصوتكَ الحُلوِ ، الرخيم

ومضَوْا إلى المَرْج البهيج ، يطاردون طيورَهُ

ويُزحزِحون صُخورَهُ ، ويعابثون زهورَهُ

ويُشيِّدون من الرمال البيضِ ، والحصَب النضير

غُرَفا ، وأكواخا تكلِّلُها الحَشائشُ والزهور

ويُنضِّدون من الرُّبى ، بين التضاحك والحبور

طاقاتِ وردٍ ، آبدٍ ، تُزري بأوراد القصور

يُلقونها في النهر ، قربانا لآلهة السرور

فتسير في التيَّار ، راقصةً على نَغَم الخرير

كلٌّ نسُوكَ ، ولم يعودوا يذكرونكَ في الحياة

والدّهر يدفنُ في ظلام الموتِ حتّى الذكريات

إلّا فؤاداً ، ظلّ يخفُقُ في الوجود إلى لقاك

ويودُّ لو بَذَلَ الحياة إلى المنيَّةِ ، وافتداك

فإذا رأى طفلاً بكاكَ ، وإنْ رأى شبَحا دعاكْ
يُصغي لصوتك في الوجود ، ولا يرى إلاّ بهاك
يصغي لنغمتكَ الجميلةِ في خرير الساقيهْ
في رنّةِ المزمارِ ، في لَغْوِ الطيور الشاديهْ
في ضَجّةِ البحر المُجَلجِل ، في هَدير العاصفهْ
في لجّة الغابات ، في صوت الرعود القاصفهْ
في نُغْيَة الحمَل الوديع ، وفي أناشيد الرعاةْ
بين المُروج الخضرِ والسَّفْح المجلّلِ بالنباتْ
في آهة الشاكي ، وضوضاءِ الجُمُوعِ الصاخبهْ
في شهْقة الباكي يؤَجّجُها نُواحُ النادبهْ
في كلِّ أصواتِ الوجودِ : طَروبِها وكئيبِها
ورخيمِها ، وعنيفها ، وبغيضها ، وحبيبِها
ويراك في صُوَرِ الطبيعة : حلوِها ، وذميمِها
وجزينها ، وبهيجِها ، وحقيرِها ، وعظيمِها
في رقّة الفجرِ الوديعِ ، وفي الليالي الحالمهْ
في فتنة الشفقِ البديعِ ، وفي النجوم الباسمهْ
في رقْصِ أمواجِ البُحيْرة تحت أضواء النجومْ

في سِحْرِ أزهارِ الربيع ، وفي تهاويل الغيوم
في لمْعة البرق الخفوق ، وفي هُوِيّ الصاعقهْ
في ذِلّة الوادي ، وفي كِبْر الجبال الشاهقهْ
في مَشهَدِ الغاب الكئيبِ ، وفي الورود(1) العاويهْ
في ظُلْمة الليلِ الحزينِ ، وفي الكهوف العاريهْ
أعَرفتَ هذا القلبَ في ظلماءِ هاتيك اللّحودْ ؟
هو قلبُ أمِّكَ ، أمِّكَ السَّكْرَى بأحزانِ الوجود
هو ذلك القلب الذي سيَعيشُ كالشّادي الضريرْ
يشدُو بشكْوَى حزنِه الداجي إلى النفَس الأخير
لا ربَّةُ النسيان ترحمُ حزنَه وترى شقاهْ
كلّا ! ولا الأيّامُ تُبْلِي في أناملها أساه
إلّا إذا ضَفَرَتْ له الأقدارُ إكليلَ الجنونْ
وغدًا شقيًّا ضاحكا ، تلهو بمرآه السِّنونْ
هو ذلك القلبُ الذي مهما تقلّبتِ الحياةْ
وتدفّعَ الزمَنُ المُدَمْدِمُ في شِعابِ الكائناتْ

(1) الورود : جمع ورد : الأسد

وتغنّتِ الدُّنيا ، وغرّد بلبلُ الغابِ الجميلْ
سيظلُّ يعبُدُ ذكرياتِكِ : لا يَمَلُّ ، ولا يميلْ
كالأرض : تمشي فوق تُربتها المسرّةُ ، والشبابْ
والليلُ ، والفجرُ المُجنّحُ ، والعواصفُ ، والسحابْ
والحُبُّ تَنبتُ في مواطِنه الشقائقُ ، والورودْ
والموتُ تُحفَرُ - أينما يخطو - المقابرُ واللّحودْ
وتمرُّ بين فجاجها اللّذاتُ ، حالمةً ، تميدْ
سكرى ،، وأشواقُ الورى ترنو إلى الأفُقِ البعيدْ...
وتظلُّ ترقص للأسى ، لِلّهْوِ ، أشباحُ الدهورْ
حتّى يواريَها ضبابُ الموت في وادي الدُّثورْ
وتظلُّ تُورِقُ ، ثمّ تُزْهِرُ ، ثمّ ينشرها الصباحْ
للموتِ ، للشوْكِ المُمَزّقِ ، للجداول ، للرياحْ
بَسماتُ ثَغْرٍ حالمٍ ، يفترُّ في سهْوِ السرورْ
وورودُ روْضٍ باسمٍ ، يُصغِي لألحان الطيور
وتظلُّ تخفقُ ، ثم تشْدُو ، ثم يطويها الترابْ
قُبَلٌ ، وأطيارٌ ، تُغرِّدُ للحياةِ ، وللشبابْ
وتظلُّ تمشِي في جِوارِ الموتِ أفراحُ الحياةْ ! ..

ويغـرّدُ الشحـرورُ ما بين الجماجم والرُّفـاتْ
والأرضُ حـالمةٌ : تغنّي بين أسراب النجـومْ
أنشودةَ الماضي البعيد ، وسُورةَ الأزَلِ القديم ...

5 شعبان 1350

16 ديسمبر 1931

حديث المقبرة

«وهو حوارٌ فلسفيّ ، مَدَارُه الحياة»

« والمـوت ، والخلود والـكمال»

في ليلة مظلمة ، من ليالي الصيف ، خرج الشاعر بنفسه من القرية الصغيرة النائمة في سفح الجبل ، وفي ذلك السكون الشامل ، والظلام المركوم ، اخذ يمشي بين اشجار الزيتون المزهرة في مسلك منفرد ، ثم اعتلى تلك الربوة الصغيرة ، حيث كانت مـدافن القريـة وحيث ينـام المـوتى في صمت الـدهـور .

وبين القبور الخرساء الجاثمة تحت أضواء النجوم ، حيث يتحدث كل شيء بجلال الموت وتفاهة الحياة ، جلس الشاعر بأقدام متعبة ، ونفس ثائرة ، واجفان قد اذبلتها الأحزان ، فطافت بنفسه الأحلام والأفكار والذكريات ، وتقلبت أمامـه صور الموت وأمواج الحيـاة ، وتتابعت أمـامه رسوم الأيـام الكثيرة ، ما نام منهـا في قاب الأزل ومـا لم يزل ينمو في احشاء الأبد الكبير ، وجاشت في قلبه هاته العصور والخواطر، وعجت في صدره عجيج الأمواج الثائرة ، فالقاها الى الليل في النشيد التالي :

أتفنى ابتساماتُ تلك الجفون ؟ ويخبـو تـوهـجُ تلك الخدود ؟

وتذوي وُرَيْداتُ تلك الشفاه ؟ وتهوِي إلى الترب تلك النهود ؟

وينهدُّ ذاك القوامُ الرشيق   وينحلُّ صدرٌ بديعٌ ، وجيد
وتربدُّ تلك الوجوه الصِّباحُ   وفتنةُ ذاك الجمال الفريد
ويغبرُّ فرْعٌ كجُنْح الظلام   أنيقُ الغدائر ، جعدٌ ، مديد
ويُصبحُ في ظلمات القبور   هباءً ، حقيرا ، وتُرْبا ، زهيد
وينجاب سحرُ الغرام القويِّ   وسُكرُ الشباب الغرير ، السّعيد

***

أتُطوَى سموات هذا الوجود ؟   ويذهبُ هذا الفضاء البعيد ؟
وتهلِك تلك النجومُ القُدامى ؟   ويهرَم هذا الزمان العهيد ؟
ويقضِي صباحُ الحياة البديعُ ؟   وليلُ الوجود الرهيبُ ، العتيد ؟
وشمسٌ توشِّي رداءَ الغمام ؟   وبدرٌ يضيء ، وغيمٌ يجود ؟
وضوءٌ يرصِّع موجَ الغدير ؟   وسِحْرٌ ، يطرِّز تلك البرود ؟
وبحرٌ فسيحٌ ، بعيد القرار   يَضجّ ، ويَدْوِي دويّ الرعود ؟
وريحٌ تمرّ مرورَ الملاك ،   وتخطو إلى الغاب خطْوَ الوليد ؟
وعاصفةٌ ، من بنات الجحيم ،   كأنّ صداها زئيرُ الأسود
تعجّ ، فتدوِي حنايا الجبال   وتمشي ، فتهوِي صخور النُّجود ؟
وطيرٌ ، تغنِّي خلال الغصون   وتهتف للفجر بين الورود ؟

وزهــرٌ ينمّـقُ تلك التـلالَ وينهَلُ من كلّ ضوءٍ جديد ؟
ويعبَق منه أريـجُ الغــرام ونفحُ الشباب الحِييّ ، السعيد ؟

***

أيسطو على الكـلّ ليلُ الفناء ليلهُو بها الموتُ خلفَ الوجود . . .
وينثرها في الفَراغِ المخيف كما تنشـر الوردَ ريـحٌ شَرود
فينضب يمٌّ الحياة الخضمُّ ويَخمد روحُ الربيع الوَلود
فلا يلثم النورُ سِحْرَ الخدود ولا تُنْبِتُ الأرضُ غضّ الورود ؟

***

كبيرٌ على النفس هذا العفاءُ ! وصعبٌ على القلب هذا الهمود !
وماذا على القَـدَر المستمـرّ لو استمرَأ الناسُ طعمَ الخلود
ولم يُخْفَروا بالخراب المحيط ولم يُفْجَعوا في الحبيب الودود
ولم يَسلكوا للخلود المرجَّى سبيلَ الرّدى ، وظلامَ اللّحود
فدامَ الشبابُ ، وسحرُ الغرام ، وفنُّ الربيـعِ ، ولطفُ الورود
وعاش الورى في سلامٍ ، أمينٍ وعيشٍ غضيرٍ، رخيٍّ ، رغيد ؟
ولـكنْ هـو القدرُ المستبـدُّ يَلَذُّ له نوْحُنا ، كالنّشيـد !

***

وكانت بين القبور روح فيلسوف قديم مجهول فجاءت تزور جسمها الذى أصبح رمة بالية فى أحشاء التراب، فاشفقت على الشاعر المسكين من آلامه الروحية وحيرته الظامئة، فارادت أن تعلمه الحكمة وتسكب فى قلبه برد اليقين فخاطبته بهاته الأبيات :

تبرّمتَ بالعيش خوف الفناء ولو دمتَ حيًّا سئمتَ الخلود
وعشتَ على الأرض مثل الجبال جليلاً، رهيبا، غريبا، وحيد
فلم ترتشفْ من رُضاب الحياة ولم تصطبح من رحيق الوجود
وما نشوة الحبّ عند المحبّ وما سحر ذاك الربيع الوليد
ولم تدر ما فتنةُ الكائنات وما صرخة القلب عند الصدود
ولم تفتكر بالغد المستراب ولم تحتفل بالمرام البعيد
وماذا يُرجّي ربيب الخلود من الكونِ — وهو المقيم البعيد — ؟
وماذا يودُّ، وماذا يخافُ من الكونِ — وهو المقيم الأبيد — ؟
تأمَّلْ . . . فإنّ نظام الحياة نظام، دقيق، بديع، فريد
فما حبّبَ العيشَ إلاّ الفناءُ ولا زانَه غيرُ خوف اللّحود
ولولا شقاءُ الحياة الأليم لما أدركَ الناسُ معنى السعود
ومَنْ لم يرُعْه قطوبُ الدياجيرِ لم يغتبطْ بالصباح الجديد .

* * *

وراق حديث الروح الشاعر العائش بين الهواتف والأشباح، فقال يحاورها :

إذا لم يكن من لقاء المنايا مناصٌ لمن حلّ هذا الوجود
فأيُّ غناءٍ لهذي الحياة وهذا الصراع العنيف، الشديد

وذاك الجمال الذي لا يُمَلُّ ، وتلك الأغاني ، وذاك النشيد ؟ ؟
وهذا الظلام ، وذاك الضياء ، وتلك النجوم ، وهذا الصعيد
لماذا نمرُّ بوادي الزمان سِراعا ، ولكنّنا لا نعود
فنشرب من كلّ نبعٍ شرابا ومنه الرفيع ، ومنه الزهيد
ومنه اللّذيذ ، ومنه الكريه ، ومنه المُشيد ، ومنه المُبيد
ونحمل عِبْئا من الذكريات وتلك العهود التي لا تعود
ونشهد أشكال هذي الوجوه وفيها الشقيّ ، وفيها السعيد
وفيها البديع ، وفيها الشنيع ، وفيها الوديع ، وفيها العنيد
فيُصبح منها الوليُّ الحميم ، ويصبح منها العدوُّ الحَقُود
وكلٌّ — إذا ما سألْنا الحياةَ — غريبٌ لعمري بهذا الوجود
أتيناه من عالَمٍ ، لا نراه فُرادى ، فما شأنُ هذي الحُقُود ؟
وما شأنُ هذا العداء العنيفِ ؟ وما شأن هذا الإخاء الودود ؟

***

روح الفيلسوف :

خلقنا لِنبلغ شَأْوَ الكمال ونصبح أهلًا لمجد الخلود
وتُطْهَرَ أرواحُنا في الحياة بنار الأسى . . . . (1)
ونكسبَ مِن عثرات الطريق قُوًى ، لا تُهدُّ بدأب الصعود
ومجدا ، يَكُونُ لنا في الخلود أكاليلَ من رائعات الورود

***

(1) بياض بالأصل والمسودة

ومر بالمقبرة سرب من الأرواح ، في طريقها الى العالم المجهول ؛ فطارت معها روح الفيلسوف ، وخلفت عالم الشك والكآبة لأبنائه البائسين . وظل الشاعر يردد بينه وبين نفسه :

« خلقنا لنبلغ شأوَ الكمال ونُصبح أهلاً لمجد الخلود »

ولكن أفكاره الثائرة التي لا تهدأ كانت لا تزال تلح عليه بالأسئلة الكثيرة المرهفة فقال يناجي روح الفيلسوف التي حسبها ما زالت قريبة منه :

ولكن إذا ما لبسنا الخلود ونلنا كمال النفوس البعيد
فهل لا نَمَلّ دوام البقاء ؟ وهل لا نودّ كمالا جديد
وكيف يكونن هذا « الكمال » : ماذا تراه ؟ وكيف الحدود ؟
وإنّ جمالَ «الكمال» «الطُّموحُ» وما دام «فكرا» يُرَى من بعيد
فما سِحره إنْ غدا «واقعا» يُحَسّ ، وأصبح شيئا شهيد ؟
وهل ينطفي في النفوس الحنين وتصبح أشواقنا في خمود
فلا تطمح النفس فوق الكمال وفوق الخلود لبعض المزيد ؟
إذا لم يَزُل شوْقُها في الخلود فذاك لَعمري شقاء الجدود
وحربٌ ضروس ، — كما قد عهدتُ —
ونصرٌ ، وكسرٌ ، وهمٌّ مديد
وإنْ زال عنها فذاك الفناء وإنْ كان في عرَصَات الخلود

***

كذلك ناجى الشاعر روح الفيلسوف ، ولكنها كانت اذ ذاك بعيدة عنه في عالم بعيد لا يسمع نجواه ، وكذلك ضاعت أسئلة الشاعر في ظلمة الليل الذى لا يسمع ولا يجيب .

26 ذو القعدة 1350

3 افريل 1932

في ظلّ وادي الموت

نحن نمشي ، وحولنا هاته الأكوا
ن تمشي . . ، لكنّ لأيّة غايه ؟
نحن نشدو مع العصافير للشمس ،
وهذا الربيع ينفخ نايه
نحن نتلو رواية الكون للموت
ولكن ماذا ختام الروايه
هكذا قلت للرياح فقالت :
« سَلْ ضميرَ الوجود : كيف البداية . ؟ »

***

وتغشّى الضباب نفسي ، فصاحت
في ملال مرٍّ : « إلى أين أمشي ؟ »
قلت : « سيري مع الحياة . . » فقالت :
« ما جنينا ، ترى ، من السيْر أمس ؟
فتهافتُّ كالهشيم — على الأرض
وناديت : « أين يا قلب رفشي ؟ »
« هاتِه ، علّني أخطّ ضريحي »
« في سكون الدجى وأدفن نفسي »

***

« هاتِه فالظلام حولي كثيف . . . »
« وضباب الأسى مُنيخٌ عليَّا . . . »
« وكؤوس الغرام أترعها الفجرُ ، »
« ولكنْ تحطّمتْ في يديَّا . . . »
« والشباب الغرير ولّى إلى الماضي »
« وخلّى النحيبَ في شفتيَّا ، »
« هاته ، يا فؤادُ إنّا غريبان ، »
« نصوغ الحياة فنًّا شجيًّا . . . »

***

« قـد رقصنا مـع الحيـاة طـويلا . . .»
« وشدوْنـا مـع الشبـاب سنينـا . . . »
« وعَدوْنـا مع الليـالي حُفـاةً . . . »
« في شِعاب الحياة حتى دَمِينا . . . »
« وأكلنـا التّراب حتّى مللِنـا . . . »
« وشربنا الدموعَ ، حتّى رُوِينـا . . . »
« ونشـرنا الأحـلامَ والحبّ والآلامَ... »
« واليأسَ ، والأسى ، حيث شِينـا . . . »

***

« ثم ماذا ؟ هذا أنا : صرتُ في الدنيـا »
« بعيـدا عـن لهـوهـا وغِنـاهـا »
« في ظلام الفناء ، أدفن أيّامي ، »
« ولا أستطيـع حتّى بـكاهـا ؟ »
« وزهورُ الحيـاة تهـوِي ، بصمتٍ »
« مُـحزِنٍ ، مُضجرٍ على قدميَّا ، »
« جـَفّ سحرُ الحياة ، يا قلبـيَ الباكي، »
« فهيَّا ، نُجـرِّبِ الموت. . ، هيَّا . . ! »

28 ذو القعدة 1350

5 افريل 1932

السَّاحرة

راعها منه صَمْتُه ووُجُومُه وشَجاها شُحوبُه وسُهومُهْ
فأمَرّتْ كفًّا على شَعْره العاري برفق ، كأنّها ستُنيمُهْ
وأطلّتْ بوجهها الباسم الحلو على خدّه وقالتْ تلومُهْ :
« أيها الطائر الكئيب تَغَرَّدْ إنّ شَدْوَ الطيور حلوٌ رخيمُهْ »
« وأجِبْنيَ فدتك نفسيَ — ماذا ؟ أمصابٌ ؟ أم ذاك أمْرٌ ترومه ؟ »
« بل هو الفنُّ واكتئابُه ، والفنَّان جمٌّ أحزانُه وهمومه »
« أبدا يحمل الوجود بما فيه كأنْ ليس للوجود زعيمُهْ : »
« خلِّ عبءَ الحياة عنك ، وهيَّا بمحيًّا ، كالصبح ، طلْقٍ أديمُه

« فكثير عليك أن تَحْمل الدنيا وتمشي بوقرها لا تَريمه »
« والوجود العظيم أُقْعِدَ في الماضي وما أنت ربُّه فتقيمه »
« وامش في روضة الشباب طَروبا فحواليك وَرْدُه وكرومه »
« واتلُ للحبّ والحياة أغانيك وخلّ الشقاء تَدْمَى كلومه »
« واحتضنّي ، فإنّني لكَ ، حتّى يتوارى هذا الدجى ونجومه »
« ودع الحُبّ يُنشدُ الشعر للّيل، فكم يُسكر الظلامَ رنيمُهْ . . . »
« واقطف الورد من خدودي، وجيدي ونهودي . . ، وافعل به ما ترومه »
« إنّ لِلْبيت لهوَه الناعِمَ الحلوَ ولِلْكون حربُه وهمومُهْ »
« وارتشفْ من فمي الأناشيدَ سَكرَى، فالهوى ساحرُ الدلال ، وَسيمه »
« وانْسَ فيّ الحياةَ..، فالعمرُ قفْرٌ ، مرعبٌ إنْ ذَوَى وجفّ نسيمه »
« وارْمِ لليل ، والضبابِ بعيدا فَنّكَ العابسَ ، الكثيرَ وُجومه »
« فالهوى ، والشبابُ ، والمرح المعسولُ تشدو أفنانُه ونسيمه »
« هي فنُّ الحياة ، يا شاعري الفنّانَ بل لُبُّ فنّها وصميمُهْ »
« تلك يا فيلسوف ، فلسفة الكوْن ، ووَحْيُ الوجودِ هذا قديمه »
« وهي إنجيليَ الجميلُ ، فصدّقْه وإلاّ . . ، فلِلْغرام جحيمه . . »
فرماها بنظرة ، غَشيَتْها سكرةُ الحُبِّ ، والأسى، وغيومُهْ
وتلاها ببسمة ، رشفتها منه سكرانةُ الشباب ، رؤومُهْ

والتقتْ عندها الشفاهُ . . ، وغنّتْ قُبَلٌ ، أجفلتْ لديها همومُهْ
ما تريد الهمومُ من عالَمٍ ، ضاعت مسرّاتُه ، وغنّتْ نجومُهْ ؟

***

ليلةٌ أسبلَ الغرامُ عليها سحرَه الناعمَ الطريرَ نعيمُهْ
وتَغنّى في ظلّها الفرَحُ اللاّهي فجفّ الأسى وخرّ هشيمُهْ
أغرق الفيلسوفُ فلسفة الأحــــزان في بحرها . . ، فمن ذا يلومُهْ

***

إن في المرأةِ الجميلةِ سحرا عبقريّا ، يُذْكي الأسى ، ويُنيمُهْ

15 ربيع الاول 1351
19 جويلية 1932

الجنة الضائعة

كَمْ من عُهودٍ عذبةٍ في عَدْوَةِ الوادي النضيرْ
فِضِّيَّةِ الأسحار مُذْهَبَةِ الأصائل والبكورْ
كانت أرقَّ من الزهور ، ومن أغاريد الطيور
وألذَّ من سحر الصِّبا في بَسْمَةَ الطفل الغرير
قضّيتُها ومعي الحبيبةُ لا رقيب ولا نذير
إلاّ الطفولةَ حولنا تلهو مع الحُبِّ الصّغير
أيامَ كانت للحياة حلاوة الروض المطير
وطهارةُ الموج الجميل ، وسِحْرُ شاطئه المنير

ووداعة العصفور ، بين جداول الماء النمير
أيّامَ لم نعرف من الدُّنيا سوى مَرَحِ السُّرور
وتَتَبُّعِ النَّحْلِ الأنيقِ وقَطْفِ تيجان الزهور
وتسلُّقِ الجبلِ المكلّل بالصّنَوْبَر والصخور
وبناءِ أكواخِ الطفولة تحت أعشاش الطيور
مسقوفةً بالورد ، والأعشاب ، والورق النضير
نبني ، فتهدمها الرياحُ ، فلا نضجُّ ولا نثور
ونعود نضحك للمروج ، وللزّنابقِ ، والغدير
ونخاطب الأصداء ، وهي ترِفُّ في الوادي المنير
ونعيد أغنية السواقي ، وهي تلغو بالخرير
ونَظَلُّ نركض خلف أسراب الفَراش المستطير
ونمرُّ ما بين المروج الخضر ، في سكر الشعور
نشدو ، ونرقصُ — كالبلابلِ — للحياة ؛ وللحبور
ونظلّ ننشرُ للفضاء الرّحْبِ ، والنهرِ الكبير
ما في فؤادَيْنا من الأحلام ، أو حُلْوِ الغرور
ونَشيدُ في الأفُق المخضّب من أمانينا قصور
أزهى من الشفَقِ الجميل ، وروْنقِ المَرْج الخضير

وأجلّ من هذا الوجود ، وكلّ أمجاد الدهور
أبدا ، تُدلِّلُنا الحياةُ بكلّ أنواع السرور
وتبثّ فينا من مراح الكون ما يُغوي الوقور
فنسيرُ ، نَنْشُدُ لهوَنا المعبودَ — في كلّ الأمور
ونظلّ نعبث بالجليل من الوجود ، وبالحقير :
— بالسائل الأعمى،وبالمعتوه ، والشيخِ الكبير
بالقطة البيضاءِ ، بالشاة الوديعة ، بالحمير
بالعشب ، بالفَنَنِ المنوّر ، بالسنابل ، بالسّفير
بالرَّمْلِ ، بالصخر المحطّم ، بالجداول ، بالغدير
واللهوُ ، والعبثُ البريءُ ، الحلوُ ، مطمحُنا الأخير
ونظلّ نقفز ، أو نُثَرْثِرُ ، أو نغنّي ، أو ندور
لا نسأم اللهوَ الجميلَ ، وليس يدركنا الفتور
فكأنّنا نحيا بأعصاب من المرَح المُثِير
وكأنّنا نمشي بأقدام مجنّحة ، تطير
أيّامَ كنّا لُبَّ هذا الكون ، والباقي قشور
أيّامَ تفرشُ سُبْلَنا الدنيا بأوراق الزهور
وتمرّ أيامُ الحياة بنا ، كأسراب الطّيور

بيضاء لاعبةً ، مُغرِّدةً مجنَّحةً بنور
وتُرَفرِفُ الأفراحُ فوق رؤوسنا أنَّى نسير

***

آهٍ ! توارى فَجْرِيَ القدسيُّ في ليل الدهور
وفنى ، كما يفنى النشيدُ الحلوُ في صمت الأثير
أوّاهُ ! قد ضاعت عليَّ سعادةُ القلب الغرير
وبقيتُ في وادي الزمان الجَهْمِ أدأبُ في المسير
وأدوسُ أشواكَ الحياة بقلبيَ الدّامي الكسير
وأرى الأباطيل الكثيرةَ ، والمآثم ، والشرور
وتصادُمَ الأهواء بالأهواء في كلّ الأمور
ومَذَلّةَ الحقِّ الضعيف ، وعزّةَ الظلم القدير !
وأرى ابنَ آدَمَ سائرا في رحْلَةِ العُمُرِ القصير
ما بينَ أهوال الوجودِ ، وتحتَ أعباء الضّمير
متسلِّقا جَبَلَ الحياةِ الوعْرَ ، كالشَّيْخ الضّرير
دامي الأكُفِّ ، مُمَزّقَ الأقْدَامِ ، مُغْبَرَّ الشعور
مُترنِّح الخطواتِ ما بين المزالق والصُّخور
هالتْهُ أشْباحُ الظلامِ ، وراعهُ صوتُ القبور

ودويٌّ إعْصار الأسى ، والموت ، في تلك الوُعورْ

***

ماذا جنيتُ من الحياة ومن تجاريب الدُّهور
غيرَ الندامةِ والأسى واليأسِ والدمعِ الغزير ؟
هذا حَصادي من حقول العالَمِ الرّحْبِ الخطير
هذا حَصادي كلُّهُ ، في يقظة العَهْدِ الأخير

***

قد كنتُ في زمنِ الطفولةِ ، والسذاجةِ ، والطهور
أحْيا كما تحيا البلابلُ ، والجداولُ ، والزُّهور
لا نحفل ، الدنيا تدور بأهلها ، أو لا تدور
واليومَ أحْيا مُرْهَقَ الأعْصاب ، مشبوبَ الشعور
مُتأجِّجَ الإحساسِ ، أحفلُ بالعظيم ، وبالحقير
تمشي على قلبي الحياةُ ، ويزحَفُ الكونُ الكبير
هذا مصيري ، يابني الدنيا فما أشقى المصير !

12 رمضان 1351
9 جانفى 1933

السَّعَادَة

ترجو السعادةَ يا قلبي ولو وُجِدَتْ　　في الكونِ لم يشتعلْ حُزْنٌ ولا ألَم
ولا استحالتْ حياةُ الناسِ أجمعُها　　وزُلزلتْ هاتِه الأكوانُ والنُّظمُ
فما السعادة في الدُّنيا سوى حُلُمٍ　　ناءٍ تُضَحِّي له أيَّامَها الأمم
ناجتْ به الناسَ أوهامٌ مُعَرْبِدَةٌ　　لَمَّا تَغَشَّتْهُمُ الأحلامُ والظّلَم
فَهَبَّ كُلٌّ يُناديهِ ويَنْشُدُهُ　　كأنّما الناسُ ما ناموا ولا حَلُمُوا(1)

***

« خُذ الحياةَ كما جاءتك مبتسما　　في كفِّها، الغارُ أو في كفِّها العدم »
وارقصْ على الوَردِ والأشواكِ مُتَّئِدا　　غنَّتْ لك الطيرُ، أو غنَّت لك الرُّجُمُ

(1) حلم : كان ذا حلم ، أى ذا عقل

واعملْ كما تأمرُ الدُّنيا بلا مَضَضٍ ... والجِمْ شعُورَكَ فيها، إنّها صَنَم

فَمَنْ تألَّمَ لم ترْحَمْ مضاضتُهُ ... ومَنْ تجلّدَ لم تهزأ به القِمَم

هذي سعادةُ دُنيانا، فكن رجُلاً ... إن شِئتَها - أبَدَ الآبادِ - يبتسم!

وإنْ أردتَ قضاء العيش في دَعَةٍ ... شِعْرِيَّةٍ لا يُغَشّي صَفْوَها ندَمٍ

فاترُكْ إلى الناس دُنياهم وضجّتَهم ... وما بنَوْا لنظام العيْش أو رَسَمُوا

واجعلْ حياتك دَوْحا مزْهِرا نَضِرا ... في عزلةِ الغابِ ينْمو ثم ينْعَدِمُ

واجعل لياليك أحلاما مُغرِّدةً ... إنّ الحياةَ وما تَدوِي به حُلُمُ!

26 رمضان 1351

23 جانفي 1933

مِنْ أغَاني الرّعَاة

حل الشاعر صيفا بعين دراهم « من الشمال التونسي » مستشفيا . وهناك فوق الطبيعة العذراء الساحرة والغابات الملتفة الهائلة ، والجبال الشم المجللة بالسنديان قضى عهدا شعريا ، وادعا ، خالصا للشعر ، والسحر والاحلام . وفي القصيد التالي صورة صغيرة من صور الحياة بين تلك الجبال، والأودية والغابـات .

أقبلَ الصُّبْحُ يُغنِّي للحياةِ الناعسهْ
والرُّبى تحلمُ في ظلِّ الغصون المائسهْ
والصَّبا تُرْقِص أوراقَ الزهور اليابسهْ
وتَهادَى النُّورُ في تلك الفِجاج الدامسهْ

***

أقبَلَ الصبحُ جميلاً ، يملأُ الأفْقَ بهاه
فتمطّى الزهرُ ، والطيْرُ ، وأمواجُ المياه
قد أفاقَ العالمُ الحيُّ ، وغنّى للحياه
فأفيقي يا خِرافي ، وهلمّي يا شِياه

* * *

واتبَعيني يا شياهي ، بين أسراب الطيور
واملإي الواديَ ثُغاءً ، ومِراحا وحبور
واسمعي همس السواقي ، وانشَقي عطرَ الزهور
وانظري الواديَ ، يغشّيه الضبابُ المستنير

* * *

واقطفي من كلإ الأرض ، ومَرعاها الجديد
واسمعي شبّابتي تشدو ، بمعسول النشيد
نَغَمٌ يَصعَدُ مِنْ قلبي ، كأنفاسِ الورود
ثم يَسْمُو طائرا ، كالبلبلِ الشادي السعيد

* * *

وإذا جئْنا إلى الغابِ ، وغطّانا الشجر
فاقطفي ما شئتِ من عُشْبٍ ، وزَهْرٍ ، وثَمَر

أرضَعَتْهُ الشّمْسُ بالضوءِ ، وغَذّاهُ القَمَرْ
وارتَوَى من قَطَراتِ الطَّلِّ ، في وَقْتِ السَّحَرْ

***

وامْرَحِي ما شئتِ في الوديان ، أو فوقَ التلالْ
واربضي في ظلّها الوارف ، إنْ خِفتِ الكلالْ
وامْضغي الأعشابَ ، والأفكار في صَمت الظلالْ
واسمعي الريحَ تُغَنِّي ، في شماريخ الجبالْ

***

إنّ في الغاب أزاهيرا ، وأعشابا عِذابْ
يُنشِدُ النّحْلُ حواليْها ، أهازيجا طِرابْ
لم تُدَنِّسْ عِطرَها الطاهرَ أنفاسُ الذئابْ
لا ، ولا طَافَ بها الثعلبُ في بعض الصِّحابْ !

***

وشذًا حلوا ، وسِحْرا ، وسَلاما ، وظِلالْ
ونَسيما ساحِرَ الخطوةِ ، موفورَ الدلالْ
وغصونا يَرْقُصُ النورُ عليها ، والجمالْ
واخضرارا أبديًّا ، ليس تمْحُوه الليالْ

***

لن تـَمـَلـِّي ، يا خرافي ، في حمى الغاب الظليلْ
فزمانُ الغاب طفلٌ ، لاعبٌ ، عذبٌ ، جميل
وزمانُ النـاس شَيـْخٌ ، عابسُ الوجه ، ثقيـل
يتمشّى في مـلال ، فوق هـاتيك السهـول

***

لكِ في الغـابات مرعـاك ، ومسعاكِ الجميـلْ
وليَ الإنشادُ ، والعـزف إلى وقت الأصيل
فإذا طالتْ ظِلالُ الكـَلإِ الغضِّ ، الضئيل
فهلمِّي نرجـعِ المسعى إلى الحيِّ النبيـل

10 شوال 1351

6 فيفرى 1933

أيتها الحالمة بين العواصف

أنتِ كالزهرةِ الجميلةِ في الغاب ، ولكنْ ما بين شوكٍ ، ودود
والرياحينُ تحسب الحسَكَ الشرّير والدودَ من صنوف الورود
فافهمي الناس.. . إنّما الناسُ خَلْقٌ مفسدٌ في الوجود ، غيرُ رشيد
والسعيدُ السعيدُ من عاش كالليل غريبا في أهل هذا الوجود
ودعيهم يحيَوْنَ في ظلمة الإثمِ وعيشي في طهرك المحمود
كالملاك البريءِ ، كالوردة البيضاء ، كالموجِ . في الخضمّ البعيد
كأغاني الطّيور ، كالشفق الساحر كالكوكب البعيد السعيد
كثلوج الجبال ، يغمُرُها النور وتسمو على غبار الصعيد
أنتِ تحت السماء روحٌ جميلٌ صاغه اللهُ من عبير الورود



وبنـو الأرض كالقرود ، وما أضْـــيـَعَ عِطرَ الـورود بين القـرود !
أنتِ من ريشة الإلاه ، فلا تُلْـــقـي بفـنٍّ السمـا لجهل العبيـــد
أنتِ لم تخلقي ليقـرُبَكِ الناسُ ولـكن لتُعْبَدي من بعيـــد . . .

15 شوال 1351

11 فيفرى 1933

للتاريخ

البؤسُ لابن الشعب يأكلُ قلبَه
والمجدُ والإثراءُ للأغراب
والشعب معصوبُ الجفون ، مقسَّم
كالشاة ، بين الذئبِ والقصّاب
والحقُّ مقطوعُ اللسان مكبَّل
والظلمُ يمرَح مُذْهَبَ الجلباب
هذا قليلٌ من حياةٍ مُرّة
في دولة الأنصاب والألقاب

20 شوال 1351
16 فيفرى 1933

صوت من السماء

في الليل ناديتُ الكواكب ساخطا	متأجِّجَ الآلام والآراب :
« الحقلُ يملكه جبابرة الدجى	والروض يسكنه بنو الأرباب »
« والنهر ، للغول المقدّسة التي	لا ترتوي ، والغاب للحطّاب »
« وعرائس الغاب الجميلِ هزيلةٌ	ظمآى لكلّ جنًى وكل شراب »
« ما هذه الدنيا الكريهةُ ؟ ويلَها !	حُقّتْ عليها لعنة الأحقاب ! »
« الكونُ مُصغٍ، يا كواكبُ، خاشعٌ	طال انتظاري ، فانطقي بجواب ! »

***

فسمعتُ صوتا ساحرا ، متموِّجا	فوق المروج الفيحِ ، والأعشاب
وحفيفَ أجنحةٍ ترفرف في الفضا	وصدًى يرنّ على سكون الغاب :
« الفجرُ يولدُ باسما ، متهلّلاً	في الكونِ ، بين دُجنّةٍ وضباب »

11 ذو القعدة 1351
8 مارس 1933

ذكرى صباح

قدّس الله ذكره من صباحٍ ساحرٍ ، في ظِلال غاب جميلِ
كان فيه النسيم ، يرقص سكرانا على الورد ، والنبات البليلِ
وضَباب الجبال ، ينساب في رفقٍ بديعٍ ، على مروج السهول
وأغاني الرعاةِ ، تخفقُ في الأغوارِ والسهلِ ، والربى ، والتلول
ورحابُ الفضاء ، تعبق بالألحان، والعطرِ ، والضياء الجميل
والمَلاكُ الجميلُ ، ما بين ريحانٍ وعُشْبٍ ، وسِنديانٍ ظَليل
يتغنّى مع العصافير في الغاب، ويرنو إلى الضباب الكسول
وشعور الملاك ترقص بالأزهار والضوء ، والنّسيم العليل

***

حُلمٌ ساحرٌ ، به حلمَ الغابُ فواهًا لحُلْمه المعسول !
مثل رؤيا تلوح للشاعر الفنّان في نشوة الخيال الجليل
قد تمليّتُ سِحرَهُ في أناةٍ وحنان ، ولذّةٍ ، وذهول
ثمّ ناديتُ ، حينما طفح السِّحر بأرجاء قلبيَ المبتول
يا شعورٌ تميد في الغاب بالر يحان ، والنور ، والنسيم البليل
كَبِّليني بهاته الخُصَلِ المُرْخاةِ في فتنةِ الدّلال الملُول
كبِّلي يا سلاسلَ الحبِّ أفكا رِي ، وأحلامَ قلبيَ الضِّلِّيل
كبِّليني بكلّ ما فيكِ من عِطْرٍ وسحرٍ مقدّسٍ مجهول
كبِّليني ، فإنما يُصبح الفنّان حرّا ، في مثل هذي الكبول

***

ليت شعري ! كم بين أمواجِكِ السوّ دِ ، وطيّاتِ ليلِكِ المسدول
من غرامٍ ، مُذَهَّبِ التاجِ ، ميْتٍ وفؤادٍ مُصَفَّدٍ ، مغلول
وزهورٍ من الأمانيِّ تَذوي في شحوبٍ ، وخيبةٍ ، وخمول
أنتِ لا تعلمين . . ، والليلُ لا يعلم كم في ظلامِه من قتيل
أنتِ أرْجُوحَةُ النسيمِ فميلي بالنسيمِ السعيدِ كلَّ مَميل
والبَثي للورودِ والظِّلِّ ، والأضواء في عُرْيكِ الجميلِ ، النبيل

وَدَعِي الشمسَ والسماءَ تُسَوِّي لكِ تاجا من الضياء الجميل
ودعِي مُزْهِرَ الغصون يُغَشِّيـ ـكِ بأوراق وَرْدِهِ المطلول

***

للشعاع الجميلِ أنتِ ، وللأنسا مِ ، والزهرِ ، فالعَبِي ، وأطيلي
ودعي للشقيِّ أشواقَه الظمْأى وأوهامَ ذِهْنِه المعلول
يا عروسَ الجبالِ ، يا وردةَ الآ مالِ ، يا فتنةَ الوجودِ الجليل
ليتني كنتُ زهرةً ، تتثنَّى بين طيَّات شَعْرِكِ المصقول !
أو فَراشا ، أحومُ حولكِ مسحورا غريقا في نشوتي ، وذهولي !
أو غصونا ، أحنو عليكِ بأوراقي حُنُوَّ المُدَلَّهِ المتبول !
أو نسيما ، أضمُّ صدرَكِ في رِفقٍ إلى صدْرِيَ ، الخفوقِ ، النحيل
آهِ ! كم يُسْعِدُ الجمالُ ، ويُشْقي من قلوبٍ شِعْرِيَّةٍ ، وعقول . . .

12 ذو القعدة 1351

9 مارس 1933

الرّواية الغريبة

ضحِكنا على الماضي البعيد ، وفي غَدٍ
ستجعلنا الأيامُ أضحوكةَ الآتي

وتلك هي الدنيا ، روايةُ ساحرٍ
عظيمٍ ، غريب الفنّ ، مبدع آيات

يمثّلها الأحياءُ في مسرح الأسى
ووسْط ضبابِ الهمّ ، تمثيلَ أموات

ليشهدَ مِنْ خلف الضباب فصولَها
ويضحكَ منها مَن يمثّل ما ياتي

وكلٌّ يؤدّي دَوْرَهُ . . . ، وهو ضاحكٌ
على الغير ، مضحوكٌ على دوره العاتي

20 ذو القعدة 1351
17 ماس 1933

الصَّباحُ الجديدُ

اسكُني يا جِراحْ   واسكُتي يا شجونْ
ماتَ عهد النّواحْ   وزمانُ الجنون
وأطلّ الصّباحْ   مِنْ وراء القرونْ

****

في فِجاج الرّدى   قد دفنتُ الألَمْ
ونثرتُ الدّموعْ   لرياحِ العَدَمْ
واتّخذتُ الحياة   مِعزفاً للنّغمْ
أتغنّى عليه   في رحابِ الزمانْ

****

وأذبتُ الأسَى   في جمالِ الوجودْ
ودحوْتُ الفؤادْ   واحةً للنشيدْ
والضِّيا والظلالْ   والشّذَى والورودْ
والهوى والشبابْ   والمُنى والحَنانْ

*****

اسكُني يا جراحْ   واسكُتي يا شجون
مات عهدُ النواحْ   وزمان الجُنونْ
وأطلّ الصباحْ   من وراءِ القُرونْ

*****

في فؤاديَ الرحيبْ   معبدٌ للجمالْ •
شيَّدتْه الحياةْ   بالرُّؤَى والخيال
فتلوْتُ الصلاةْ   في خشوع الظلال...
وحرقت البخورْ...   وأضأتُ الشموعْ...

*****

إن سِحْرَ الحياةْ   خالدٌ لا يزولْ
فعلام الشكاهْ   من ظلام يحول
ثمّ يأتي الصباح   وتمرُّ الفصول..؟
سوف يأتي ربيعْ   إن تقضَّى ربيعْ

*****

اسكُني يا جراحْ   واسكُتي يا شجونْ
مـات عهدُ النواح   وزمـانُ الجنون
وأطـلّ الصبـاح   من وراءِ القرونْ

***

من وراء الظـلامْ   وهـديـرِ الميـاهْ
قد دعاني الصباح   وربيـعُ الحيـاهْ
يـا لـه من دُعَـاء   هزّ قلبِي صداه !
لَـمْ يَعُدْ لي بقَاء   فوق هذي البقـاع

***

الوَداعَ ! الوَداع !   يـا جبالَ الهمومْ
يا ضبابَ الأسى !   يا فجاجَ الجحيم !
قد جـرى زوْرقي   في الخضمّ العظيم...
ونشرتُ القلاعْ...   فالوَداع ! الوَداع !

13 ذو الحجة 1351

9 افريل 1933

الحانى السكرى

قـد سكـرنـا بحبّنـا واكتفينـا يا مديرَ الكؤوس ِ فاصرفْ كؤوسَكْ
واسكبِ الخمرَ للعصافيرِ والنحلِ وخـلّ الثـرى يَضُـمُّ عـروسَكْ

***

مـا لنـا والكؤوس ، نطلب منها نشوةً والغـرامُ سحرٌ وسُـكـرُ !
خلّنـا منك ، فالربيع لنا سـاقٍ وهـذا الفضـاءُ كأسٌ وخمـر !

***

نحن نحيا كالطير، في الأفُق الساجي وكالنحـل ، فـوق غـضّ الـزهـورِ
لا ترى غيرَ فتنةِ العـالم الحيِّ وأحـلامِ قلبهـا المسحـور . . .

***

نحن نلهو تحتَ الظلالِ ، كطفليْن   سعيديْن ، في غُرور الطفولهْ
وعلى الصخرةِ الجميلةِ في الوادي   وبين المخاوفِ المجهولةْ

***

نحن نغدو بين المروج ونَمسي   ونغنّي مع النسيم المغنّي
ونناجي روحَ الطبيعةِ في الكون   ونُصغي لقلبها المتغنّي

***

نحن مثل الربيع : نمشي على أرضٍ   من الزهر ، والرؤى ، والخيالِ
فوقها يرقص الغرام ، ويلهو   ويغنّي في نشوةٍ ودلال

***

نحن نحيا في جَنّة من جِنان السحر   في عالمٍ بعيدٍ . . . ، بعيدِ . . .
نحن في عُشّنا المُوَرَّدِ ، نتلو   سُوَرَ الحُبِّ للشّبابِ السعيد

***

قد تركنا الوجودَ للناس ، فليقضُوا   الحياةَ كيف أرادوا
وذهبنا بلبّه ، وهو روحٌ   وتركنا القشورَ ، وهي جَمادُ

***

قد سَكِرْنَا بحبّنا ، واكتفيْنا   طَفحَ الكأس ، فاذهبوا يا سُقاةُ
نحن نحيا فلا نريد مزيدا   حسبنا ما منحتِنا يا حياةُ

***

حسبنا زهرُنا الذي نتَنشَّى حسْبنا كأسُنا التي نترشّفْ
إنّ في ثغرنا رحيقًا سماويًّا وفي قلبنا ربيعا مفوّفْ

***

أيها الدهر ! أيها الزمن الجاري إلى غير وُجهةٍ وقرارِ !
أيها الكون ! أيها الفلك الدّوّار بالفجر ، والدجى ، والنهارِ !

***

أيها الموت ! أيها القدر الأعمى ! قِفُوا حيث أنتُمُ ! أو فسيرُوا
ودعونا هنا : تُغنِّي لنا الأحلامُ والحبُّ ، والوجودُ ، الكبيرُ

***

وإذا ما أبَيْتُمُ ، فاحملونا ولهيبُ الغرام في شفتيْنا
وزهورُ الحياة ، تعبقُ بالعطر وبالسحر ، والصِّبا في يديْنَا

25 جمادى الاولى 1352

15 سبتمبر 1933

إرادة الحياة

إذا الشعبُ يوماً أراد الحياة   فلا بدّ أن يستجيب القدرْ
ولا بدَّ لليل أن ينجلي   ولا بدّ للقيد أن ينكسرْ
ومَن لم يعانقْه شوْقُ الحياة   تبخَّرَ في جوِّها ، واندثر
فويل لمن لم تَشُقهُ الحياة   من صفْعة العدَم المنتصر
كذلك قالت ليَ الكائنات   وحدّثني روحُها المستتر

***

ودمدمت الرِّيحُ بين الفِجاج   وفوق الجبال وتحت الشجرْ :
« إذا ما طمحتُ إلى غايةٍ   ركبتُ المُنى ، ونسِيتُ الحذرْ »
« ولم أتجنَّب وعورَ الشِّعاب   ولا كُبَّةَ اللّهَب المستعر »

« ومَن لا يحبُّ صعودَ الجبال يعشْ أبَدَ الدهر بين الحُفَر »
فعجَّتْ بقلبي دماءُ الشباب وضجَّت بصدري رياحٌ أخَر ...
وأطرقتُ ، أصغي لقصف الرعود وعزف الرياح ، ووقع المطر

***

وقالت ليَ الأرض – لما سألت : « أيا أمُّ هل تكرهين البشرْ ؟ » :
« أُبَارِكُ في الناس أهلَ الطموح ومَن يستلذُّ ركوبَ الخطرْ »
« وألْعنُ مَن لا يماشي الزمانَ ، ويقنع بالعيْش عيشَ الحجَر »
« هو الكون حيٌّ ، يحبُّ الحياة ويحتقر المَيْتَ ، مهما كبُر »
« فلا الأفْق يحضُن ميْتَ الطيورِ ، ولا النحلُ يلثِم ميْتَ الزهر »
« ولولا أمُومةُ قلبِي الرّؤومُ لَمَا ضمّت الميْتَ تلك الحُفَر »
« فويلٌ لمن لم تشُقه الحياة ، مِنْ لعنة العدم المنتصر ! »

***

وفي ليلة من ليالي الخريف مثقَّلةٍ بالأسى والضجرْ
سكرت بها من ضياء النجوم وغنَّيْتُ للحُزْن حتّى سكرْ
سألتُ الدجى : هل تُعيد الحياةُ لما أذبلته ربيعَ العمر ؟
فلم تتكلّمْ شفاهُ الظلام ولم تترنَّمْ عذارى السَّحَر
وقال ليَ الغابُ في رقّةٍ مُحَبَّبَةٍ مثل خفْق الوتر :

« يجيء الشتاءُ ، شتاء الضباب ، شتاء الثلوج . شتاء المطر »
« فينطفيءُ السِّحرُ ، سحر الغصون ، وسحرُ الزهور ، وسحر الثمر »
« وسحر السماء الشجيُّ ، الوديعُ ، وسحرُ المروج الشهيُّ ، العطِر »
« وتهوِي الغصونُ ، وأوراقَها ، وأزهارُ عهدٍ حبيبٍ نضِر »
« وتلهو بها الريح في كلّ وادٍ ، ويدفنها السيلُ ، أنّى عَبَر »
« ويفنى الجميعُ كحُلْمٍ بديع ، تألّقَ في مهجةٍ واندثر »
« وتبقى البذورُ ، التي حُمِّلَتْ ذخيرةَ عُمْرٍ جميلٍ ، غَبَر »
« وذكرى فصولٍ ، ورؤيا حياةٍ ، وأشباحَ دنيا ، تلاشتْ زُمَر »
« معانقةً — وهي تحت الضباب ، وتحت الثلوج ، وتحت المَدَر »
« لِطَيْفِ الحياة الذي لا يُمَلُّ ، وقلبِ الربيع الشذيِّ الخضِر »
« وحالمةً بأغاني الطيور ، وعِطْرِ الزهور ، وطعمِ الثمر »

***

« ويمشي الزمان ، فتنمو صروف ، وتذوِي صروف ، وتحيا أُخَرْ »
« وتُصبِحُ أحلامها يقْظةً ، مُوَشَّحةً بغموض السَّحَرْ »
« تُسائل : أين ضباب الصباح ؟ وسِحْرُ المساء ؟ وضوء القمر ؟ »
« وأسرابُ ذاك الفَراشِ الأنيقِ ؟ ونحلٌ يغنِّي ؟ وغيمٌ يمر ؟ »
« وأين الأشعّةُ والكائناتُ ؟ وأين الحياة التي أنتظر ؟ »

« ظمِئتُ إلى النور ، فوق الغصون ! ظمِئت إلى الظلّ تحت الشجر ! »
« ظمِئتُ إلى النّبْع ، بين المروج ، يغنّي ، ويرقص فوق الزّهَر ! »
« ظمئتُ إلى نَغَمات الطيور ، وهَمْسِ النّسيمِ ، ولحن المطر ، »
« ظمئتُ إلى الكونِ ! أين الوجودُ وأنّى أرى العالَمَ المنتظر ؟ »
« هو الكونُ ، خلف سبات الجمود ، وفي أفُقِ اليقظات الكُبَر »

***

« وما هو إلّا كخفق الجناح حتّى نما شوقُها وانتصرْ »
« فصَدّعَت الأرضَ من فوقها وأبْصرت الكونَ عذبَ الصُّوَرْ »
« وجاء الربيعُ بأنغامه ، وأحلامه ، وصِباه العطِر »
« وقبّلها قُبَلاً في الشفاه ، تعيد الشباب الذي قد غَبَر »
« وقال لها : قد مُنِحْتِ الحياةَ ، وخُلّدْتِ في نسلكِ المُدّخَر »
« وباركَكِ النُّورُ ، فاستقبلي شبابَ الحياة وخِصْبَ العُمُر »
« ومَن تعبد النورَ أحلامُه ، يُبَارِكُهُ النّورُ أنّى ظهر »
« إليكِ الفضاءَ ، إليكِ الضياءَ ، إليكِ الثرى الحالمَ ، المزدهر ! »
« إليكِ الجمالَ الذي لا يَبيدُ ! إليكِ الوجودَ الرحيبَ ، النضِر ! »
« فميدي — كما شئتِ — فوق الحقول ، بحلو الثمار وغضّ الزّهَر »

« وناجي النسيمَ ، وناجي الغيومَ ، وناجي النجومَ ، وناجي القمر »
« وناجي الحياةَ وأشواقَها ، وفتنةَ هذا الوجود الأغر »

***

« وشفَّ الدجى عن جمالٍ عميقٍ ، يشُبُّ الخيالَ ، ويُذكي الفِكَرْ »
« ومُدَّ على الكون سِحرٌ غريبٌ ، يُصَرّفه ساحرٌ مقتدرْ »
« وضاءت شموعُ النجوم الوِضاءِ ، وضاع البَخُورُ ، بخور الزَّهَرْ »
« ورفرف روحٌ ، غريبُ الجمال بأجنحةٍ من ضياء القمر »
« ورنَّ نشيدُ الحياة المقدّسُ في هيكلٍ حالمٍ ، قد سُحِرِ »
« وأعْلِنَ في الكون : أنّ الطموحَ لهيبُ الحياةِ ، ورُوحُ الظفَر »
« إذا طمحتْ للحياة النفوسُ فلا بدّ أنْ يستجيبَ القدر ! »

26 جمادى الأولى 1352

16 سبتمبر 1933

تحت الغصون

ههنا ، في خمائل الغاب ، تحت الزان ، / والسّنديـان ، والزيتونِ

أنتِ أشهى من الحياة وأبْهى / من جمال الطبيعة الميمون

ما أرقّ الشبابَ ، في جسمكِ الغضّ / وفي جيدكِ البديعِ ، الثمين !

وأدقّ الجمالَ في طرفكِ الساهي ، / وفي ثَغركِ الجميل ، الحزين !

وألذّ الحياةَ حين تغنّين / فأصغي لصوتكِ المحزون

وأرى رُوحكِ الجميلةَ عِطرا / ضائعا في حلاوة التلحين !

قد تغنّيْتِ منذُ حينٍ بصوتٍ / ناعمٍ ، حالمٍ ، شجيٍّ حنون

نَغَمًا كالحياة. عذبا عميقا / في حنانٍ ؛ ورقّةٍ ، وحنين

فإذا الكون قطعةٌ من نشيدٍ / علويٍّ ، منغّمٍ ، موزون

فلِمن كنتِ تُنشدين ؟ فقالتْ : « للضياء البَنفسجيِّ الحزين »
« للضّباب المورّد ، المتلاشي كخيالات حالمٍ مفتون
« للمساءِ المطلِّ ، للشّفَق الساجي ، لسحر الأسى ، وسحر السكون »
« للعبير الذي يرفرف في الأفق ويفنى ، مثل المُنى ، في سكون »
« للأغاني التي يردّدها الراعي بمزماره الصغير ، الأمين »
« للربيع الذي يؤجّج في الدنيا حياةَ الهوى ، وروحَ الحنين »
« ويوشّي الوجودَ بالسحر، والأحلام والزهر ، والشذى ، واللّحون »
« للحياة التي تغنّي حواليَّ ! على السهل ، والربى ، والحُزون »
« للينابيع ، للعصافير ، للظلّ لهذا الثرى ، لتلك الغصون »
« للنسيم الذي يضمّخ أحلامي بعطر الأقاح والليمون »
« للجمال الذي يَفِيضُ على الدنيا ، لأشواق قلبيَ المَشحون »
« للزمان الذي يوشّح أيّامي بضوء المُنى ، وظلّ الشجون »
« للشباب السكران ، للأمل المعبود ، لليأس ، للأسى ، للمَنون »

***

فتنهدْتُ ، ثم قلتُ : « وقلبي مَنْ يغنّيه ؟ مَنْ يُبيد شجوني ؟ »
قالت : « الحُبُّ » ثم غنّتْ لقلبي قُبَلاً عبقريّة التلحين

قبَـلاً ، علّمت فؤادي الأغـاني ، وأنـارتْ له ظـلام السنيـنَ
قبَـلاً ، تـرقُص السعادةُ والحبُّ عـلى لحنهـا العميـقِ الـرصين

*

. . وأفقنا ، فقلت كالحالم المسحور: « قـولي ، تـكلّمي ، خبّريني »
« أيُّ دنيا مسحورة ، أيّ رؤيا طالعَتْني في ضوء هذي العيون : »
« زمـرٌ من ملائك الملأ الأعلى يغنّـون في حُنُـوٍّ حنـون »
« وصبـايـا رواقصٌ ، يتراشقن بـزهـر التُّفـاح واليـاسميـن »
« في فضـاءٍ مُورَّدٍ، حالمٍ، ساهٍ، أطـافت بـه عذارى الفُنـون »
« وجحيمٍ تَـؤُجُّ تحت فـراديسَ كـأحـلام شاعـر مجنـون »
« أيُّ خمرٍ مـؤجَّـجٍ، ولهيبٍ مُسكـرٍ ؟ أيّ نشوة ، وجنـون ؟ »
« أيّ خمـرٍ رشفتُ ، بل أيّ نارٍ في شفـاهٍ بديعـة التكـويـن »
« ورَّدتْها الحياةُ في لَهَبِ السّحر ، ونُـور الهوى ، وظلّ الشجون »
« أيّ إثـمٍ مقدّس ، قد لبسنـا بـُرْدَهُ في مسائنـا الميمون ؟ »
فَبـدَا طيفُ بسمةٍ ، ساحرٌ ، عذبٌ ، على ثَغرها ، قـويُّ الفتـون
وأجابتْ - وكلّهـا فتنـةٌ تُغوي ، وتُغـري بالحبّ ، بل بالجنون - :
« أبدا! أنتَ حالمٌ ، فاسأل الليلَ ، فعند الظـلام علُم اليقيـن . . . »

*

وسكتنا ، وغــرّدَ الحُبُّ في الغـاب ، فـأصغى حتّى حفيفُ الغصون

وبنى الليّـلُ والرّبيعُ حوالَيْنـا من السِّحْـر والـرُّؤَى والسكــون

معبـدًا للجمـال ، والحُبِّ شِعريًّـا ، مَشِيـدًا على فِجاج السنيـن

تحته يـزْخـرُ الـزّمانُ ، ويجري صامتـا في مَسِيلِـه المحزون

وتمـرُّ الأيـامُ ، والحزنُ ، والموتُ ، بعيـدا عـن ظلّـه المـأمون

معبدا ، ساحرا ، مبـاخرُهُ الزُّهْرُ على الصخْرِ ، والثرى ، والغصون

كلُّ زَهْـرٍ يضـوع منه أريـجٌ من بَخور الربيـع ، جمٌّ الفتون

ونجـومُ السمـاء فيه شمـوعٌ أوْقَدَتْهـا للحُبِّ رُوحُ القرون

ومضتْ نسْمةٌ تُوَسْوِسُ للغاب ، وتشـدُو في عُمْـقِ ذاك السكــون

وطغى السِّحر ، والغرام بقلبي فتوسَّلْتُ ضـارعًـا بجفوني :

« طهِّري يا شقيقةَ الرُّوحِ ثَغْري بلهيب الحياة ، بل قبِّليني »

« إنّ نـارَ الحيـاةِ والكوثـرَ المنشودَ في ثغركِ الشهـيِّ ، الحـزيــن »

« فهو كأسٌ سحرّية لرحيق الخلد قـد صـاغهـا إلاه الفنــون »

« قبِّليني ،وأسْكِري ثَغريَ الصادي وقلبـي ، وفِتنتي ، وجنوني »

علِّميني أستطيـع أن أتغنّـى لجمـال الدُّجى بوحي العيـون »

«آه ! مـا أجمـل الظلام ! وأقـوى وحيَـه في فـؤاديَ المفتـون ! »

« انظري الليّـل فهو حلّة الأحلام يمشي على البـذرى والحزون »

« واسمعي الغاب ، فهو قيثارةُ الكون تغنّي لحبنا الميمون »
إنّ سِحر الضباب ، والليل ، والغاب بعيدُ المدى ، قويٌّ الفتون
« وجمال الظلام يعبق بالأحلام والحبّ .... فابسمي ، واثميني »

. . . .

« آهِ ! ما أعذب الغرام ! وأحلى رَنّةَ اللثم في خشوع السكون ! »

***

... وسكرنا هناك...في عالم الأحلام تحت السماء ، تحت الغصون...
وتوارى الوجود عنّا بما فيه . . . وغبنا في عالم مفتون . . .
ونسينا الحياة ، والموت ، والسكون وما فيه من مُنًى ومَنون

1 جمادى الثانية 1352

21 سبتمبر 1933

الى الشعب

أين يا شعبُ قلبُك الخافقُ الحسَّاسُ؟ أين الطموحُ ، والأحلامُ ؟
أين يا شعبُ، روحُك الشاعرُ الفنَّانُ ؟ أين الخيال والإلهامُ ؟
أين يا شعب، فنُّك الساحرُ الخلاّقُ ؟ أين الرسوم والأنغام ؟
إنّ يمّ الحياة يَدْوِي حواليْكَ فأين المُغامِرُ المقدام
أين عزم الحياة ؟ لا شيءَ إلاّ الموتُ ، والصَّمتُ ، والأسى ، والظلام
عُمُرٌ ميِّتٌ ، وقلبٌ خَواءٌ، ودمٌ لا تثيره الآلام
وحياةٌ تنامُ في ظلمة الوادي وتنمو من فوقها الأوهام
أيُّ عيش هذا ، وأيُّ حياة ؟ ! (رُبّ عَيْشٍ أخَفُّ منه الحِمَام)

***

قد مشتْ حولكَ الفصولُ وغَنَّتْكَ		فلم تبتهج ، ولم تترنَّمْ
ودَوَتْ فوقك العواصفُ والأنواءُ		حتَّى أوْشَكْتَ أن تتحطّم
وأطافَتْ بكَ الوحوشُ وناشتْك		فلم تضطرب ، ولم تتألمْ
يا إلاهي ! أما تحسُّ ؟ أما تشدو ؟		أما تشتكي ؟ أما تتكلّمْ ؟
مَلّ نهرُ الزّمانِ أيامَك الموتَى		وأنقاضَ عُمْرِكَ المتهدِّمْ
أنتَ لا ميِّت فيبلَى ، ولا حيٌّ		فيمشي ، بل كائنٌ ، ليس يُفْهَمْ .
أبدا يرمق الفراغَ بطرْفٍ		جامدٍ ، لا يرى العوالِمَ ، مُظْلِمْ
أيُّ سِحْرٍ دهاكَ ، هل أنتَ مسحورٌ		شقيٌّ ؟ أو ماردٌ يتهكّمْ ؟

***

آهٍ !بل أنت في الشعوب عجوزٌ ،		فيلسوفٌ ، مُحَطَّمٌ في إهَابِهْ
ماتَ شوقُ الشباب في قلبِهِ الذاوي ،		وعزمُ الحياة في أعصابهْ
فمضى ينشد السلامَ . .، بعيدا . . .		في « قبور الزمان » خلفَ هضابه
وهناكَ ، اصطفى البقاءَ مع الأموات ،		في « قبر أمسه » غيرَ آبِهْ . . .
وارتضى القبرَ مسكناً ، تتلاشى		فيه أيامُ عُمْرِهِ المُتشابِهْ
وتناسى الحياةَ ، والزّمَنَ الدّاوي،		وما كان مِنْ قديمِ رِغابِهْ
فالْزَمِ القبرَ ... فهو بيتٌ شبيهٌ		بكَ في صمت قلبِهِ ، وخرابِهِ
واعبدِ «الأمسَ» واذْكرْ صُوَرَ الماضي		فدُنْيَا العجوز ذِكرى شبابِهْ . . .

***

وإذا مَـرّت الحياةُ حـواليْكَ جميلاً ، كالزهر غَـضًّا صِباها
تتغنّى الحـياة بالشوق والعزم فيُحـْيِـي قلبَ المجاد غِـناهـا
والربيعُ الجميلُ يرقص فوق الورد ، والعشب ، مُنْشِـداً ، تيّاها
ومشى الناسُ خلفها ، يتَمَـلَّـوْنَ جمالَ الـوجود في مَرْآها
فاحْذَرِالسِّحْرَ! أيهاالناسكُ القِـدّيسُ إنَّ الحياةَ يُغْوي بَـهاها
والربيعُ الفَنَّانُ شاعِرُها المفتونُ يُغْـرِي بحبّها وهـواهـا
وتَـمَلّ الجمـالَ في رِمَـم الموتى .. ! بعيدا عن سحرها وصداهـا
وتَغَـزّلْ بسحر أيّامِكَ الأولى وخَلّ الحياةَ تخطو خطاهـا

***

وإذا هبَّت الطيورُ مع الفجـر ، تُغَـنّي بين المروج الجميلهْ
وتُحَـيِّي الحياةَ ، والعالَمَ الحيَّ ، بصوتِ المحبَّـةِ المعسولـهْ
والفراشُ الجميلُ رَفْرَفَ في الروض ، ينـاجـي زهـورَه المطلـولهْ
وأفاقَ الوجودُ لِلْعمل المُجْدِي وللسَّعي ، والمعاني الجليلهْ
ومشى الناس في الشِّعاب ، وفي الغاب، وفـوقَ المسالكِ المجهولـهْ
ينشدون الجمالَ ، والنُّورَ ، والأفراحَ والمجدَ ، والحـياةَ النبيلـهْ
فاغضُض الطرفَ في الظلام ! وحاذِرْ فِتنة النُّورِ ..! فهيَ رُؤْيَا مَهُولَهْ
وصباحُ الحياةِ لا يُوقِظُ المَوْتَى ولا يـرحمُ الجفونَ الـكليلهْ

***

كلُّ شيءٍ يُعاطِف العالَمَ الحيَّ ، ويُذكي حياتَه ، ويُفيدُهْ
والذي لا يُجاوِب الكونَ بالإحساس عِبْءٌ على الوجود وُجودُهْ
كلُّ شيءٍ يُسايِرُ الزمنَ الماشي بعزمٍ ، حتى الترابُ ، ودودُهْ
كلُّ شيءٍ — إلاَّكَ — حيٌّ ، عطوفٌ يُؤْنِسُ الكونَ شَوْقُه ، ونَشيدُهْ
فلِماذا تعيش في الكون يا صاحِ ! وما فيكَ مِن جنًى يستفيدُهْ
لستَ يا شيخُ للحياةِ بأهْلٍ أنت داءٌ يُبِيدُها وتُبيدُهْ
أنت قَفْرٌ جهنَّميٌّ لَعِينٌ ، مُظلمٌ ، قاحلٌ ، مُريعٌ جمودُهْ
لا تَرِفُّ الحياةُ فيه ، فلا طيرٌ يُغنِّي ، ولا سحابٌ يَجُودُهْ

***

أنتَ يا كاهنَ الظلامِ حياةٌ تعبد الموتَ . . ! أنت روحٌ شقيُّ
كافرٌ بالحياةِ والنُّورِ .. ، لا يُصغي إلى الكون قلبُه الحَجَرِيُّ
أنتَ قلبٌ ، لا شوقَ فيه ولا عزمَ وهذا داءُ الحياةِ الدَّوِيُّ
أنتَ دنيا ، يُظِلُّها أفُقُ الماضي وليلُ الكآبةِ الأبديُّ
مات فيها الزمانُ ، والكونُ إلاَّ أمسُها الغابرُ ، القديمُ ، القَصِيُّ
والشقيُّ الشقيُّ في الأرض قلبٌ يَومُهُ مَيِّتٌ ، وماضيه حيُّ
أنتَ لاشيءَ في الوجودِ ، فغادِرْهُ إلى الموت فَهْوَ عنك غَنِيُّ

25 جمادى الثانية 1352

15 اكتوبر 1933

النّاس

ما قـدّسَ المثَلَ الأعلى وجمَّلَه في أعيُنِ الناس إلاّ أنّهُ حُلْمُ !
ولـو مشى فيهمُ حـيّاً لحطّمه قومٌ، وقالوا بخبثٍ: «إنّهُ صنَمُ» !
لا يعبد الناسُ إلاّ كلَّ منعدمٍ مُـمنَّـعٍ ، ولـمنْ حابَاهُـمُ العدم !
حتّى العباقرةُ الأفذاذ ، حُبُّهُمُ يلقَـى الشقاءَ وتَلقَـى مجدَها الرِّمَـمُ !

***

الناس لا ينصفون الحيّ بينهـمُ حتّى إذا ما توارى عنهمُ ندموا !
الويـْل للناس من أهوائهم ! أبدا يمشي الزمانُ وريح الشر تحتدم ...

20 شعبان 1352

8 ديسمبر 1933

منابع العظمة

إذا صغرت نفسُ الفتى كان شوقه صغيرا ، فلم يتعب ، ولم يتجشمِ
ومَن كان جبّارَ المطامع لم يـَزل يلاقي من الدنيا ضراوةَ قَشعم

23 شعبان 1352

11 ديسمبر 1933

نَشِيدُ الجَبَّار

أو هكـذا غنى بروميثيـــوس

سأعيش رغـمَ الـداءِ والأعداءِ　　كالنَّسر فوق القِمَّـةِ الشمَّـاءِ
أرنو إلى الشمس المضيئة . . ، هازئاً　　بالسُّحْب ، والأمطار ، والأنواءِ . . .
لا أرمقُ الظلّ الكئيبَ ... ولا أرى　　ما في قرار الهُوّةِ السوداء . . .
وأسيرُ في دنيا المشاعر حالماً ،　　غـرِداً — وتلك سعادة الشعراء —
أُصغِـي لموسيقى الحياة ، ووحْيِـها　　وأذيب روحَ الكون في إنشائي
وأصيـخُ للصوت الإلاهيِّ الذي　　يُحيي بقلبي ميّتَ الأصداء

***

وأقول للقدر الذي لا ينثني عن حرب آمالي بكلّ بلاء :
« لا يطفىء اللهبَ المؤججَ في دمي موجُ الأسى ، وعواصف الأرزاء »
« فاهدم فؤادي ما استطعتَ ، فإنّه سيكون مثل الصخرة الصمّاء »
« لا يعرف الشكوى الذليلة والبكا ، وضراعــةَ الأطفال والضّعفاء »
« ويعيش جبّارا ، يحدّق دائما بالفجر .. ، بالفجر الجميل النائي »
« واملأ طريقي بالمخاوفِ ، والدّجى ، وزوابعِ الأشواك ، والحصباء »
« وانشر عليه الرُّعبَ ، وانثر فوقه رُجمَ الرّدى ، وصواعقَ البأساء »
« سأظلّ أمشي رغم ذلك ، عازفاً قيثارتي ، مترنّما بغنائي »
« أمشي بروحٍ حالمٍ ، مُتَوَهّجٍ في ظلمة الآلام والأدواء »
« النور في قلبي وبين جوانحي فعلامَ أخشى السيرَ في الظلماء ؟ »
« إنّي أنا النايُ الذي لا تنتهي أنغامه ، ما دام في الأحياء »
« وأنا الخِضَمُّ الرحْبُ ، ليس تزيده إلّا حياةً سطوةُ الأنواء »
« أمّا إذا خمدت حياتي ، وانقضى عُمُري ، وأخرست المنيّةُ نائي »
« وخبا لهيبُ الكون في قلبي الذي قد عاش مثلَ الشعلة الحمراء »
« فأنا السعيد بأنّني مُتَحَوّلٌ عن عالم الآثام والبغضاء »
« لأذوبَ في فجر الجمال السرمديّ وأرتوي من مَنْهَلِ الأضواء »

***

وأقولُ للجمع الذين تجشّموا هدمي وودُّوا لو يخرُّ بنائي
ورأوْا على الأشواك ظلّي هامِداً فتخيَّلُوا أنّي قضيْتُ ذَمائي
وغدوْا يَشُبُّونَ اللّهيبَ بكلِّ ما وجدوا . . ، ليشوُوا فوقه أشلائي
ومضَوْا يمدُّون الخِوان ، ليأكلوا لحمي ، ويرتشفوا عليه دمائي
إنّي أقول لهم — ووجهي مشرقٌ وعلى شفاهي بسمة استهزاء — :
« إنّ المعاول لا تهدُّ مناكبي والنار لا تأتي على أعضائي »
« فارموا إلى النار الحشائشَ..، والعبوا يا معشر الأطفال تحت سمائي »
« وإذا تمرّدت العواصف ، وانتشى بالهول قلبُ القبّة الزّرقاء »
« ورأيتموني طائرا مترنِّماً فوق الزوابع ، في الفضاء النائي »
« فارموا على ظلّي الحجارة ، واختفوا خوْفَ الرياحِ الهُوجِ والأنواء .... »
« وهناك ، في أمْنِ البيوت ، تطارحوا غَثَّ الحديث ، وميِّتَ الآراء »
« وترنَّموا — ما شئتمُ — بشتائمي وتجاهروا — ما شئتمُ — بعِدائي »
« أمّا أنا فأجيبكم من فوقكم والشمسُ والشفقُ الجميل إزائي : »
« مَن جاش بالوحي المقدّسِ قلبُه لم يحتفِلْ بحجارة الفلتاء . »

27 شعبان 1352

15 ديسمبر 1933

زوبعة في ظلام

لـو كانت الأيام في قبضتي   أذريتهـا للريح ، مثل الرمالْ
وقلت : « يا ريح ، بها فاذهبي   وبدِّديهـا في سحيـق الجبـال »
« بل في فجاج الموت.. في عالَمٍ   لا يرقص النور به والظِّلال ... »

***

لو كان هذا الـكون في قبضتي   ألقيْتُـه في النار ، نار الجحيمْ
ما هذه الدنيا ، وهذا الورى   وذلك الأفق ، وتلك النجوم ؟ !
النـار أوْلى بعبيد الأسى ،   ومسرح الموت ، وعُـشِّ الهموم

***

يا أيها الماضي الذي قد قضى وضمَّهُ الموتُ ، وليلُ الأبدْ !
يا حاضر الناس الذي لم يزَلْ ! يا أيها الآتي الذي لم يلد !
سخافةٌ دنياكم هذه تائهةٌ في ظلمة لا تُحَد . . !

7 رمضان 1352

24 ديسمبر 1933

الاعتراف

ما كنت أحسب بعد موتك يا أبي — ومشاعري عمياء بالأحزانِ —
أنّي سأظمأ للحياة ، وأحتسي من نهْرها المتوهّج النّشوان
وأعودُ للدنيا بقلبٍ خافقٍ للحبِّ ، والأفراح ، والألحان
ولكلّ ما في الكون من صور المنى وغرائب الأهواء والأشجان
حتّى تحرّكت السّنون ، وأقبلت فتن الحياة بسحرها الفتّان
فإذا أنا ما زلت طفلاً ، مولَعاً بتعقُّب الأضواء والألوان
وإذا التشاؤم بالحياة ورفضُها ضربٌ من البهتان والهذيان
إنّ ابن آدم في قرارة نفسه عبدُ الحياة الصادق الإيمان

3 ذو القعدة 1352

17 فيفرى 1934

قلب الشاعر

كلّ ما هبّ ، وما دبّ ، وما نام ، أو حام على هذا الوجود
من طيورٍ ، وزهورٍ ، وشذى وينابيعَ ، وأغصان تميد
وبحارٍ ، وكهوفٍ ، وذُرى وبراكينَ ، ووديانٍ ، وبيد
وضياء ، وظلالٍ ، ودجى ، وفصول ، وغيوم ، ورعود
وثلوج ، وضباب عابر ، وأعاصيرَ ، وأمطارٍ تجود
وتعاليمَ ، ودين ، ورؤى ، وأحاسيس ، وصمتٍ ، ونشيد
كلُّها تحيا بقلبي حُرّةً غضّةَ السحر ، كأطفال الخلود

***

ههنا ، في قلبيَ الرحْبِ العميقْ يرقص الموتُ وأطيافُ الوجود

ههنا ، تعصف أهوال الدجى ههنا ، تخفق أحلام الورود
ههنا ، تهتف أصداءُ الفنا ههنا ، تُعزَفُ ألحانُ الخلود
ههنا ، تمشي الأماني ، والهوى ، والأسى ، في موكبٍ فخْمِ النشيد
ههنا الفجر الذي لا ينتهي ههنا الليل الذي ليس يبيد
ههنا ، ألفُ خِضمٍّ . ثائرٍ ، خالدِ الثورةِ ، مجهولِ الحدود
ههنا ، في كلِّ آنٍ تمَّحي صُوَرُ الدنيا ، وتبدو من جديد

29 ذو القعدة 1352

16 مارس 1934

الى طغاة العالم

ألا أيّها الظالم المستبِدُّ حبيبَ الظلام ، عدوّ الحياة
سخرتَ بأنّات شعب ضعيف وكـفـّك مخضوبة من دماه
وسرتَ تُشوّه سِحْرَ الوجود وتبذر شوك الأسى في رُباه

*
* *

رُوَيدَكَ ! لا يخدعنْك الربيعُ وصحوُ الفضاء ، وضوء الصباحْ
ففي الأفُق الرحب هول الظلام وقصفُ الرعود ، وعصف الرياح
حذار ! فتحت الرماد اللهيبُ ومن يبذرِ الشوك يجنِ الجراح

*
* *

تأمّلْ ! هنالك . . أنّى حصدْتَ رؤوسَ الورى ، وزهورَ الأملْ
ورويّتَ بالدمِ قلبَ التراب وأشْربتَه الدمعَ ، حتّى ثمِل
سيجرفكَ السيلُ ، سيلُ الدماء ويأكلُكَ العاصفُ المشتعِل

23 ذو الحجة 1352

8 افريل 1934

الغاب

بيتٌ ، بَنَتْه ليَ الحياةُ من الشَّذَى ، والظلِّ ، والأضواء ، والأنغام
بيتٌ ، من السحر الجميل ، مُشَيَّدٌ للحبِّ ، والأحلام ، والإلهام
في الغاب سِحرٌ رائعٌ مُتجدِّدٌ باقٍ على الأيّام والأعوام
وشذًى كأجنحة الملائك ، غامضٌ ساهٍ يُرفرف في سكونٍ سام
وجداولٌ ، تشدو بمعسول الغِنا وتسيرُ حالمةً ، بغير نظام
ومخارفٌ نَسَجَ الزمانُ بساطَها من يابسِ الأوراق والأكمام
وحَنَا عليها الدَّوْحُ ، في جبَرَوته بالظلِّ ، والأغصان والأنسام
في الغاب ، في تلك المخارف ، والرُّبى ، وعلى التِّلاع الخُضرِ ، والآجام
كم من مشاعرَ ، حلوةٍ ، مجهولةٍ سَكْرَى ، ومِنْ فِكَرٍ ، ومن أوهام

غنّتْ ، كأسراب الطيور ، ورفرفت   حولي ، وذابت كالدّخان ، أمامي
ولكمْ أصَخْتُ إلى أناشيد الأسى   وتنهُّدِ الآلام والأسقام
وإلى الرياح النائحات كأنّها   في الغاب تبكي ميِّتَ الأيام
وإلى الشبابِ ، مُغنّياً ، مُترنّما   حوْلي بألحان الغرام الظامي
وسمعتُ للطيْر ، المغرِّد في الفضا   والسِّنديـاد ، الشامخ ، المتسامي
وإلى أناشيد الرعاة ، مُرِفّةً   في الغاب ، شاديةً كسِربِ يمام
وإلى الصدى ، المِمراح ، يهتف راقصا   بين الفجاج الفيح والآكام
حتّى غدا قلبي كنايٍ ، مُتْرَعٍ   ثَمِلٍ من الألحان والأنغام
فشدوتُ باللحن الغريب مُجنَّحاً   بكآبةِ الأحلام والآلام
في الغاب ، دنيا للخيال ، وللرُّؤى ،   والشعرِ ، والتفكيرِ ، والأحلام
لِلّه يومَ مضيتُ أوّلَ مرّةٍ   للغاب ، أرزحُ تحت عبء سقامي
ودخلتُه وحدي ، وحوْلِي موكبٌ   هَزِجٌ ، من الأحلام والأوهام
ومشيتُ تحت ظِلاله مُتَهَيِّباً   كالطفل ، في صَمْتٍ ، وفي استسلام
أرنو إلى الأدْوَاحِ ، في جبروتها   فإخالها عَمَدَ السماء أمامي
قد مسّها سِحْرُ الحياة ، فأوْرَقَتْ   وتمايلَتْ في جنّةِ الأحلام
وأُصيخُ للصّمْتِ المفكرّ ، هاتِفاً   في مسمعي بغرائب الأنغام
فإذا أنا في نَشْوَةٍ شعريّةٍ   فيّاضَةٍ بالوحي والإلهام

ومشاعري في يقظةٍ مسحورةٍ . . . . (1)

وَسْنَى كيقظة آدَمٍ لَمَّا سَرَى في جسمه رُوحُ الحياة النامي
وشَجَتْه موسيقى الوجودِ ، وعانقتْ أحلامَه ، في رقّةٍ وسلامِ
ورأى الفراديسَ ، الأنيقةَ ، تنثني في مُتْرَفِ الأزهار والأكمام
ورأى الملائكَ ، كالأشعّة في الفضا تنسابُ سابحةً ، بغير نظام
وأَحَسَّ رُوحَ الكون تخفق حوله في الظّلِّ ، والأضواء ، والأنسام
والكائناتِ ، تحوطه بحنانها وبحبِّها ، الرحب ، العميق ، الطامي
حتّى تملأَ بالحياة كيانُه وسعى وراءَ مواكبِ الأيّام
ولَرُبَّ صُبْحٍ غائمٍ ، مُتحجِّبٍ في كِلَّةٍ من زَعْزَعٍ وغَمام
تتنفّسُ الدنيا ضباباً ، هائماً مُتدفِّعا في أفْقه المُترامي
والرِّيحُ تخفق في الفضاء ، وفي الثرى وعلى الجبال الشُّمِّ ، والآكام
باكَرْتُ فيه الغاب مَوْهُونَ القُوَى متخاذِلَ الخُطُوَات والأقدام
وجلستُ تحتَ السنديانة ، واجماً أرنو إلى الأفُق الكئيب ، أمامي
فأرى المبانيَ في الضباب ، كأنّها فِكَرٌ ، بأرض الشكِّ والإبهام
أو عالَمٌ ، ما زال يُولَدُ في فَضَا ءِ الكونِ ، بين غياهبٍ وسِدام
وأرى الفجاجَ الدامساتِ ، خلالَهُ ومشاهدَ الوديان والآجام

(1) بياض بالأصل والمسودات

فكأنها شُعَبُ الجحيم ، رهيبةً ملفوفةً في غُبشةٍ وظلام
صُوَرٌ ، من الفنِّ المُرَوِّعِ ، أعجزت وَحْيَ القريضِ وريشةَ الرسّام
ولكَمْ مساءٍ ، حالمٍ متوشِّحٍ بالظلّ ، والضوءِ الحزين الدامي
قد سرتُ في غابي ، كفكرٍ هائمٍ في نشوةِ الأحلام والإلهام
شِعرِي، وأفكاري ، وكُلُّ مشاعري منشورةٌ للنُّور والأنسام
والأفْقُ يزخر بالأشِعَّةِ والشَّذَى والأرضُ بالأعشاب والأكمام
والغابُ ساجٍ ، والحياةُ مصيخةٌ والأفْقُ . والشفقُ الجميلُ أمامي
وعروسُ أحلامي تُداعبُ عُودَها فيَرِنّ قلبي بالصّدَى وعِظامي
روحٌ ،أنا ، مسحورةٌ ، في عالَمٍ فوق الزمان الزاخر الدوّام

***

في الغاب ، في الغاب الحبيب ، وإنَّه حَرَمُ الطبيعةِ والجمالِ السامي
طَهَّرْتُ في نار الجمال مشاعري ولقِيتُ في دنيا الخيال سَلامي
ونَسِيتُ دنيا الناس ، فهي سخافةٌ سَكْرَى من الأوهام والآثام !
وقَبستُ من عَطْفِ الوجود وحُبِّه وجمالِه قبساً ، أضاءَ ظلامي
فرأيتُ ألوان الحياة نضيرةً كنضارة الزّهَرِ الجميلِ النّامي
ووجدتُ سِحْرَ الكون أسمى عنصرا وأجلَّ من حزني ومن آلامي
فأهَبْتُ مسحورَ المشاعر ، حالماً نشوانَ بالقلب الكئيب الدامي :

« المعبدُ الحيُّ المقدّسُ ههنا ! يا كاهنَ الأحزان والآلام »
« فاخلعْ مُسُوحَ الحزن تحت ظِلاله والبسْ رداءَ الشِّعر والأحلام »
« وارفعْ صَلاتَكَ للجمال ، عميقةً مشبوبةً بحرارة الإلهام »
« واصدحْ بألحان الحياة ، جميلةً كجمال هذا العالَم البسَّام »
« واخفقْ مع العِطْر المرفرفِ في الفضا وارقصْ مع الأضواء والأنسام »
« ومع الينابيعِ الطليقةِ والصَّدَى ، . . . . »(1)
وذَرَوْتُ أفكاري الحزينةَ للدجى ونثرتُها لعواصف الأيّام
ومضيتُ أشْدُو للأشعَّةِ ساحراً من صوت أحزاني ، وبطش سقامي
وهتفتُ : « يا روحَ الجمالِ تَدَفَّقِي كالنَّهرِ في فِكَرِي ، وفي أحلامي »
« وتغلغلي كالنور ، في روحي التي ذَبُلَتْ من الأحزان والآلام »
« أنتِ الشعورُ الحيُّ يزخر دافقاً كالنّار ، في روح الوجود النامي »
« ويصوغ أحلام الطبيعةِ ، فاجعلي عُمُرِي نشيدا ساحِرَ الأنغام »
« وشذًى يَضُوعُ مع الأشعّة والرُّؤَى في معبد الحقّ الجليل السامي »

10 ربيع الثانى 1353
23 جويلية 1934

(1) بياض بالأصل والمسودات

حرمُ الأمومة

الأمُّ تلثُم طفلَها ، وتضمُّه حرَمٌ سماويُّ الجمال مقدّسُ
تتألّه الأفكارُ ، وهْي جوارَه وتعود طاهرةً هناك الأنفُس
حرَمُ الحياة بطهرها وحنانها هل فوقه حرَمٌ أجلُّ وأقدس ؟
بوركتَ يا حرَمَ الأمومةِ والصِّبا كم فيك تكتمل الحياةُ وتقدُس

21 ربيع الثاني 1353
3 اوت 1934

شكوى ضائعة

يا ليلُ ! ما تصنع النفسُ التي سكنت ... هذا الوجودَ ، ومِنْ أعدائها القدرُ؟
ترضى وتسكت ؟ هذا غير محتمل ! ... إذًا ، فهل ترفض الدنيا ، وتنتحر ؟
وذا جنونٌ لَعَمْريَ ، كلُّه جزَعٌ ... باكٍ ، ورأيٌ مريضٌ ، كلُّه خوَر !
فإنّما الموت ضربٌ من حبائله ... لا يُفلت الخلَقُ ما عاشوا ، فما النظر؟
هذا هو اللغزُ ، عَمَّاهُ وعَقّدَهُ ... على الخليقة وحشٌ فاتكٌ حذِر
قد كَبَّلَ القدرُ الضاري فرائسَه ... فما استطاعوا له دفعا ، ولا حَزَروا
وخاطَ أعينَهم ، كي لا تشاهدَه ... عينٌ ، فتعلمَ ما يأتي وما يذر
وحاطهم بفنونٍ من حبائله ... فما لهمْ أبدا مِن بطشه وزَر
لا الموت يُنقذهم من هول صولته ... ولا الحياةُ . تَساوى الناسُ والحجر!

حارَ المساكينُ، وارتاعوا، وأعْجزَهم أن يحذروه، وهل يُجديهم الحذر
وهم يعيشون في دنيا مشيَّدةٍ من الخطوب، وكونٍ كلّه خطر ؟
وكيف يحذر أعمى، مُدْلِجٌ، تعِبٌ، هولَ الظلام، ولا عزمٌ ولا بصَرُ ؟
قد أيقنوا أنّه لا شيء ينقذهم فاستسلموا لسكون الرعب، وانتظروا..
ولو رأوه لسارت كي تحاربه من الورى زُمَرٌ، في إثرها زمر
وثارت الجنّ، والأملاك ناقمةً والبحرُ، والبرُّ، والأفلاكُ، والعُصُر
لكنّه قوّةٌ تُملي إرادتها سرّا، فنَعْنُو لها قهرا، ونأتمر
حقيقة مُرّةٌ، يا ليل، مُبْغَضَةٌ كالموت، لكنْ إليها الوِرْدُ والصَّدَرُ

***

تَنهَّدَ الليلُ، حتّى قلت: «قد نُثِرَتْ تلك النجومُ، ومات الجنُّ والبشر»
وعاد للصّمت.. ، يُصغي في كآبته ـ كالفيلسوف ـ إلى الدنيا، ويفتكر..
وقهْقَهَ القدرُ الجبّارُ، سخريةً بالكائنات. تَضاحَكْ أيُّها القدر!
تمشي إلى العدم المحتوم، باكيةً طوائفُ الخلق والأشكالُ والصور
وأنت فوقَ الأسى والموتِ، مبتسمٌ ترنو إلى الكون، يُبْنَى، ثمّ ينذثر

23 ربيع الثاني 1353
5 اوت 1934

الدنيا الميتة

إنّي أرى . . ، فأرى جموعا جَمَّةً لكنّها تحيا بلا ألبابِ
يَذْوِي حواليْها الزمان ، كأنّما يذوي حواليْ جندلٍ وتراب
وإذا استجابوا للزمان تناكروا وتراشقوا بالشوك والأحصاب
وقضوْا على روح الأخوّة بينهم جهلا وعاشوا عيشة الأغراب
فَرِحَتْ بهم غولُ التعاسة والفنا ومطامعُ السّلاّب والغلاّب
لُعَبٌ ، تُحرّكها المطامعُ ، واللّهى وصغائرُ الأحقاد والآراب
وأرى نفوسا من دُخان جامدٍ ميْتٍ ، كأشباحٍ ، وراء ضباب
مَوْتَى ، نَسُوا شوقَ الحياة وعزمَها وتحرّكوا كتحرُّك الأنصاب
وخبَا بهم لَهَبُ الوجود ، فما بَقُوا إلاّ كمحترقٍ من الأخشاب

لا قلبَ يقتحمُ الحياةَ ، ولا حِجَى يسمو سُمُوَّ الطائر الجوّاب
بل في التراب المَيْتِ ، في حزْن الثرى تنمو مشاعرهُم مع الأعشاب
وتموت خاملةً ، كزهْرٍ بائس ينمو ويذبُل في ظلام الغاب
أبدا تُحدّقُ في التراب ..، ولا ترَى نورَ السماء . . ، فروحُها كتراب ..!
الشاعر الموهوبُ يُهرِق فنَّه هدراً على الأقدام والأعتاب
ويعيش في كونٍ عقيم ، ميّتٍ، قد شيَّدته غباوةُ الأحقاب
والعالمُ النّحرير يُنْفِقُ عُمْرَه في فهم ألفاظٍ ، ودرس كتاب
يحيا على رِمَمِ القَديم المُجتوَى كالدُّود في حَمِم الرماد الخابي
والشعبُ بينهما قطيعٌ ضائعٌ دنياه دنيا مأكل وشراب

***

الويلُ للحسّاس في دنياهُمُ ما ذا يلاقي من أسًى وعذاب !

28 ربيع الثانى 1353

10 اوت 1934

فلسفة الثعبان المقدس

فلسفة الثعبان المقدس هي فلسفة القوة المثقفة في كل مكان . وكما تحدث الثعبان في القطعة التالية الى الشحرور بلغة الفلسفة المتصوفة حينما حاول أن يزين له الهلاك الذى أوقعه فيه ، فسماه « تضحية » وجعله السبيل الوحيد للخلود المقدس ....

كذلك تتحدث اليوم سياسة الغرب الى الشعوب الضعيفة بلغة الشعر والأحلام حيثما تحاول ان تسوغ طريقتها في ابتلاعها والعمل لقتل ميزاتها القومية فتسميها : « سياسة الادماج » وتتكلم عنها كالسبيل الوحيد الذى لا معدى عنه لهاته الشعوب اذا أرادت نيل حقوقها في هذا العالم ، وبلوغ الكمال الانساني المنشود ، ولكن الفناء حقيقة شنيعة ، مبغضة ، لا ينقص من فظاعتها وكرهها كل ما في التصوف والفلسفة والشعر من خيال وأحلام .

كان الربيعُ الحيُّ روحاً ، حالماً غضّ الشباب ، معطَّرَ الجلبابِ
يمشي على الدنيا بفكرة شاعرٍ ويطوفها في موكبٍ خلاّب
والأفْقُ يملأه الحنانُ ، كأنّه قلبُ الوجود المنتِجِ الوهّاب

والكون من طُهْرِ الحياة كأنّما هُوَ معبدٌ ، والغابُ كالمحرابِ
والشاعرُ الشحرورُ يرقص ، منشدا للشمس ، فوقَ الوردِ والأعشاب
شعْرَ السعادة والسلام ، ونفسُه سَكْرَى بسِحْر العالَم الخلاّب
ورآه ثعبانُ الجبال ، فغمَّه ما فيه من مَرَحٍ ، وفَيْضِ شباب
وانقضّ ، مُضْطَغِناً عليه ، كأنَّه سوطُ القضاء ، ولعنةُ الأرباب
بُغِتَ الشقيُّ ، فصاح في هول القضا متلفِّتا للصائل المُنْتَابِ
وتَدَفَّقَ المسكينُ يصرخ ثائرا : « ما ذِا جنيتُ أنا فَحُقَّ عقابي ! »
« لا شيءَ ، إلاّ أنّني متغزّلٌ بالكائنات ، مغرِّدٌ في غابي »
« ألقى من الدنيا حنانا طاهرا وأبُثُّها نجوى المحبِّ الصابي »
« أيُعَدُّ هذا في الوجود جريمةً ؟ ! أين العدالةُ يا رفاقَ شبابي ؟ »
« لا [أين؟] ، فالشرعُ المقدّسُ ههنا رَأْيُ القويِّ وفكرةُ الغلاّب ! »
« وسعادة الضعفاءِ جُرْمٌ . . ،ماله عند القويِّ سوى أشدّ عقاب ! »
« ولتشهد الدنيا التي غَنَّيْتُهَا حلمَ الشباب ، وروعةَ الإعجاب
« أنّ السلامَ حقيقةٌ مكذوبةٌ والعدلَ فلسفةُ اللّهيب الخابي »
« لا عدلَ ، إلاّ إنْ تعادلت القُوَى وتَصَادَمَ الإرهابُ بالإرهاب »
فتَبَسَّمَ الثعبانُ بسمةَ هازىءٍ وأجاب في سَمْتٍ،وفَرْطِ كِذَاب :
« يا أيها الغِرُّ المثرثر ، إنّني أرثِي لثورة جهلك التلاّب »
« والغِرُّ يعذره الحكيمُ إذا طغى جهلُ الصِّبا في قلبه الوثّاب »

« فاكبحْ عواطفَكَ الجوامحَ ، إنّها ... شردتْ بلُبِّكَ ، واستمعْ لخطابي »
« إنّي إلاهٌ ، طالمَا عَبَدَ الورى ... ظلّي ، وخافوا لعنَتي وعقابي »
« وتقدّموا لي بالضحايا منهمُ ... فرِحين ، شأنَ العابد الأوّاب »
« وسعادةُ النفسِ التقيَّة أنّها ... يوما تكونُ ضحيّةَ الأرباب »
« فتصير في رُوحِ الألوهةِ بضعةً ... قُدُسيّةً ، خلَصتْ من الأوشاب »
« أفلا يسرُّكَ أنْ تكون ضحيّتي ... فتحُلَّ في لحمي وفي أعصابي »
« وتكونَ عزما في دمي ، وتوهُّجاً ... في ناظرَيَّ ، وحِدّةً في نابي »
« وتذوبَ في رُوحِي التي لا تنتهي ... وتصيرَ بعضَ ألوهتي وشبابي..؟ »
« إنِّي أردتُ لك الخلودَ مؤلّهاً ... في روحيَ الباقي على الأحقاب .. »
فكِّرْ ، لتدركَ ما أريدُ ، وإنّه ... أسمى من العيش القصير النابي »
« فأجابه الشحرورُ في غُصَص الرّدى ... والموتُ يخنقه : « إليكَ جوابي : »
« لا رَأيَ للحقِّ الضعيف ، ولا صدًى ، ... والرّأيُ ، رأيُ القاهرِ الغلاّب »
« فافعلْ مشيئتكَ التي قد شئتَها ... وارحمْ جلالَكَ من سماع خطابي »

***

وكذاك تتخذ المظالمُ منطقاً ... عذْبا لتخفي سَوْءَةَ الآراب

9 جمادى الاولى 1353
20 اوت 1934

قال قلبي للإله (1)

في جبال الهموم أنْبتّ أغصاني، فرفّتْ بين الصخور بجَهْد
وتَغَشَّانِيَ الضبابُ . . ، فأورقتُ وأزهرتُ للعواصف وحدي
وتمايلتُ في الظلام ، وعطّرتُ فضاء الأسى بأنفاس وردي
وبمجد الحياةِ ، والشوقِ غَنَّيْتُ.. ، فلم تفهم الأعاصير قصدي
ورَمَتْ للوهاد أفنانيَ الخُضْرَ ، وظلّتْ في الثّلج تحفر لحدي
ومضتْ بالشذي فقلت : « ستبني في مروج السماء بالعِطْر مَجْدي »
وتَغَزّلْتُ بالربيع ، وبالفجر فماذا ستفعل الريح بعدي »

(1) القصيد في الأصل المخطوط بغير تاريخ

زئير العاصفة (1)

تساءلني : « ما لي سكتُّ ، ولم أهِبْ بقومي ، وديجورُ المصائب مظلمٌ »
« وسيل الرزايا جارفٌ ، متدفّعٌ غضوبٌ ، ووجه الدهر أربدُ ، أقتم ؟ »

***

سكتُّ ، وقد كانت قناتيَ غضّةً تُصيخ إلى همس النّسيم ، وتحلُم
وقلتُ ، وقد أصغتْ إلى الريح مرّةً فجاش بها إعصاره المتهزّم
فقلتُ وقد جاش القريض بخاطري كما جاش صخّابُ الأواذيِّ ، أسحم :

***

(1) القصيد فى الأصل المخطوط بغير تاريخ

« أرى المجد معصوبَ الجبين مُجَدَّلاً على حَسَكِ الآلام ، يغمره الدم »
« وقد كان وضّاح الأسارير ، باسماً يهبُّ إلى الْجُلَّى ، ولا يتبرّم »

***

« فيا أيها الظلم المصعِّر خدَّه رويدك ! إنّ الدهر يبني ويهدم »
« سيثأر للعزِّ المحطّم تاجُه رجالٌ إذا جاش الرّدى فهُمُ هُمُ »
« رجالٌ يروْن الذُّلَّ عارا وسُبَّةً ولا يرْهبون الموتَ ، والموتُ مُقْدم »
« وهل تعتلي إلاّ نفوسٌ أبيَّةٌ تُصدِّع أغلالَ الهوانِ ، وتَحطِم »

إيَّاكِ

إيَّــاكَ والتَّحـديـق مِـنْ خـلَـلِ البـراقـع لِلْـحَـوَرْ
وتـطــاول الأعـنــاق نــحــــو جمــالِ رَبَّــات الخَـفَـرْ
فــالحبّ فـيِ طغيــانــه كَــالسَّيْـلِ إمَّــا ينهمــرْ
فَلقـد حَسَوْتُ زُعَــافَـه وخَبَرْتُ منه المُسْتَتَـرْ

كهرباء الغرام

كَهْـرَبَـاءُ الغـرام في الأعين النُّجْلِ ، وتيَّارُهَا بسلك الجفون
يرسل اللَّحْظَ للْقُلوب كنورٍ ... فإذا مَسَّهَـا فنَـارُ المنون
فإذا ما انجلى نقابُ الأماني ... صار صَبًّا ، مُدَلَّهًا ، ذا فتون
يقرع السِّنَّ حُرْقَة وابتهالا ... ويصير الحبورُ ليلَ شجون

صيحة الحبّ

نسمة هبَّتْ على ضوء القمر　　　نَفَخَتْ فِي نَاي أحزان الخَلَدْ
ضاق صدري ، من جرّاها ، واستعرْ　　　وأراق الوجدَ آساد الجلدْ
كيف لي بالصبر ، والصّبْرُ اندثرْ　　　تحت أقدام الجوَى ، لمَّا اتَّقَدْ
كيف لي ... ؟ والحبّ لا يبقي على　　　جَلَدِ القلب ، بأشواق الهيامْ
كيف لي ... ؟ والحبّ قد زاد إلى　　　صَعَقَات الحزن أنَّاتِ السَّقَامْ

آهِ ! كم تُلْحِدُ أوهامُ الصبّا　　　في قبور الحبّ ، من قلبِ بَشرْ
آهِ ! كم تُبكي أفانينُ الربّى　　　كلّ صبّ بابتسامات الزّهَرْ
آه ! كم تخدع ألحاظُ الظّبا　　　كلّ صبّ ، بسوادٍ وحَوَرْ
آه ! أوّاهُ ! وهل تنفعني　　　إنّما « آه » كرنّات الصّدَى

يَـا فتاتي ! هل تُلبِّي دعـوةً　　صعدتْ مِن غَوْرِ أعماق الفؤاد ؟
رفرفت والحبّ ، وَهْنا ، خلسة　　من عيون الدّهْرِ ، في ليل الحِدَادْ
سكبتْهَا الرّوحُ ، ليلا ، نَغْمَةً　　في جلالِ الكون ، في صمت العبادْ
بحياة الحبّ ، لَبِّي دعوتي　　وابعثي روحك للرّوح الحزينْ
لا تخافي ، فَالدّجَى يرجو التي　　جرّعَتْهُ الحبّ في كأس السكونْ

يَا عروسَ الحبّ ، هَيّاً واخلعي　　من جفوني الدّاميات الأرقَا
واذكري أصوات قلبي ، واسمعي　　مهجتي الظمياءَ أنغامَ اللِّقَا
أوْدعيني في عذابي ، واسرعي　　واحذري أن تسمعي صوت الشّقَا
يَا فتاتي ذكِّري اللّيْل بمَا　　نَفَثَتْهُ الرّوحُ في صدر الظّلامْ
واسألي أملاكَ حُبِّي في السمَا　　عن خشوعي ، وابتسامي للسّقَامْ

كَم سمعتُ اللّيْلَ يمشي هَامِسا　　في خشوع الكون أنّاتِ الشُّعُورْ
وهدوءُ اللّيل يسعى حَارسا　　لِمَلاكِ الحُبّ ، في صدر الأثيرْ
وفؤادي إذْ تولاّه الأسَى　　يقتفي الآثَار في ظلّ الصدورْ
كم سَمِعْتُ اللّيل ، واللّيل اختفى　　في ضباب الفجر ، كالطير الأصَمّ
يسكب الحُبّ بِألحَان الوفا　　باكيا بالدمع ، مِنْ جفن الألمْ

وعود الغواني

عَلَّلَتْني بارتشاف الضَّرَبِ ... مِن جَنَى ثغرٍ جميل أشْنَبِ
قد تحلَّى طَلْعُهُ مِن ظَلَمٍ ... يخلبُ اللُّبَّ بنظم الحَبَبِ
فَإذا القولُ سرابٌ لامع ... وإذا الوعد كبَرْقٍ خُلَّبِ
وإذا المرْبع قاعٌ صَفْصَفٌ ... مقفر، إلاَّ بِرَثِّ الطُّنُبِ

ليلة عند الحبيب

أنَا مَأسُور ٌ لِذاتِ الحُجُبِ   بِنِبالٍ صُوِّبت عن كَثَبِ
كاعِب، هيفاء، بَض ٌ، طفلة   دُمْيَة منها جميعُ العَجَبِ
خطرت تمشي بروض زاهر   مِشية الخيل بِوَحْل السَّبسبِ
ورنت نحوي بطرْف فَاتِرٍ   ينفث السِّحر بجفنٍ أهدبِ
ونبالٍ صَوَّبَتْهَا ، جَمَّة   نحو قلبي الهائم المضطربِ
تُرسل اللّيلَ بفرع فَاحِم   ضاع من جَنْحيه نشرُ الزونب

لستُ أنسى ليلة حالكة   سُرْبِلَتْ زرقاؤُهَا بالسحب
لَبِسَتْ ثوبَ ظلام دامس   وسكونٍ هائلٍ ذي رَهَبِ
ليلةً قد خضتُهَا ، منفردا   في دياجي جوف ذاك الغَيهب

سار بي مُهْرِيَ فيها عَنَقـا وزمانا سيره ذو خَبَب
عادِيا بي، مُتْهِما، أوْ مُنجدا حاذِفا نحر الفضا بالحَصَب
فَعشوْتُ النّارَ في صدر الحمى وحدها تخفق بين الحُجُب
فدخلتُ الحيّ، والسّترُ الدجى وَوَلَجتُ الخِدْرَ والليل صبي
ورفعتُ السِّتْرَ، فافترّ الدّجَى عن جمالٍ ساحرٍ مُحْتَجِب
فقضينَا ليلة، جادت بها راحةُ الدّهْر، الضنين القلب
تحت ظِلّ الحبّ، والليل الذي ضمّنا في كَفّه، يسخرُ بي
هكذا ... حتّى إذا روّعنا ذَنَبُ الصّبح، كذنبِ العقرب
قَبَّلتْني، ولهيبُ الألم المـ ـمرّ في مَدْمَعِهَا المُنْسَكِب
مثل طَلٍّ، فوق ورد، ويلتي! مِنْ جَرَى طلْعةِ ذاك الذّنَب
ثمّ قالت: يا حبيبي! سرْ على كلإِ الرّحمان، في المُنقلب
فتَوَادَعْنَا، وكلّ قلبُه في جحيم مؤلم، ملتهبِ.

ليتَ شعري

مَزّقتْ ثوبَ سكونِ الليْلِ أنّاتُ كَليمْ
بين طيّاتِ سِجافِ الغاسِقِ ، الدّاجي البهيمْ
حَرّكتْ منّي شعورا كَانَ مِن قبلُ رميمْ
فتَحسّسْتُ مكانَ الصوت ، في ذاك الأديمْ
فَإذا بالأرضِ مُلْقَى هيكلٌ نِضْو كَلُومْ
عفّرَتْهُ التُّرْبُ وَالعَيْنُ على الخَدّ سجومْ
فتَأمّلْتُ مَلِيّا وجهَه تحت الغيومْ
فَإذا المُلْقَى بوادي وطني جِسْمُ العلومْ !

يَا بني الأوطان هُبُّوا فلقد طَال الوُجُومْ

وانهضوا نهضةَ جبّـــا ــرٍ بعــزم مستقيـم
لستُ أبغــي نهضة العَـــاجـِزِ يتلُـوهـا الحُسوم

لَيْتَ شعري ! هـل سحابُ الجهـل تَذْرُوهُ العقـيم ؟
فـتـرى الأعيـنُ بَذْرَ الـعلم قــد شَقّ الغيــوم ؟
لَيْتَ شعـري ! يَـا بــلادي هـل تُصَافيكِ الـعلـوم ؟

في سكون الليل

أيُّهَـا اللَّيْـل الـكئيبْ !
أيُّهَـا اللَّيـل الغـريـبْ !
مِن وراء الهـوْل ، مِن خلف نقـاب الظلُمـاتْ
في خـلايـاك تـراءت لِيَ أحـزانُ الحَيَـاة
هَـا أنـا أرنـو فأُلْفِيكَ كَجَبَّـارٍ حطـيمْ
سـاكـنـا ، جلَّلكَ الحزنُ ، وأضنـاك الـوُجـومْ
هـاجعـا طَافَتْ بِأعْشَارِكَ أحـلام غِضـابْ
صـامـتـا ، تـصغي لأنَّـات الأسى ، والا نتحـابْ
رابِضـا كـالهـول في إحدى زوايـا الهـاويـه
سـاكـباً في راحة الـفـجر ، الدُّموع الـداميـه

ضلّ مَنْ سَمَّاكَ ، يا ليلَ بني الحزن ، بهيم
إنَّمَا أنت بما تحويه من شَجْوٍ ، رحيمْ
ما الذي خلف الغيومْ ...؟
ما الذي خلف النجومْ ...؟
ما الذي يَكْتُمُهُ الدهر ، ويُخفيه الغدُ ؟
ما الذي يحجبه غيم الحياةِ ... الأَرْبَدُ ؟
مَا الذي خلفك يَا لَيْلُ ! أوَيْلٌ أمْ سلامْ ؟
ما لذي خلفك ؟ يَا لَيْلُ ! أنُور ؟ أمْ ظلامْ ؟
هل سيبدو الفجرُ بَسَّاما ، كَعذراء الخلُودْ
تَاليا أنشودَةَ الحبّ ، على سمع الوجودْ ؟
أمْ سيبدو مِنْ وراء الأُفْقِ ، جَبّارا عنيدْ
يُنْذِرُ الأيَّام بالشرّ ، وبالهول المُريدْ ؟
هل سيبدو الفجرُ ، يا ليلُ ! إذا جاء الغدُ
وجناحاه إذا رَفّ اللَّهيبُ الأسْودُ ؟
أيُّهَا القلبُ الدّهَاقْ
بشجون لا تطاقْ
أيُّهَا المحزونُ يا شاعر الدهر الكئيب
إنّمَا أنشودة الدّهر نواح ، ونحيبْ
هيّا يَا لَيْلُ لِنَسْعَى نحو هاتيك الفلاةْ
حيث تقضي بسكون ، زاهرات ناضراتْ

إنّ ما بين أزاهير الفلاة الواجِمَه
شاعرا أيأسَهُ حُزْنُ الحَيَاة السَّاهمه
وعلى التُّرْبِ ، الذي اخْضلّ بأنداء الغَمَامْ
خطّ : « دعني في سباتي وعلى الدنيا السَّلامْ »

إلى البلبل

أيُّهَا البلبل يا شاعر أحلام الربيعْ
غَنِّني إنَّ على صوتك أنداءَ الدموعْ
غَنِّني فهو يريني أملَ القلب الصريعْ
تائهَ الفكر يناجي حيرة الفكر الشريدْ
بخشوع وسكون وحنينْ
يتكلَّمْ

انفُض الطلَّ ففي الطلِّ حياة حائره
شرَّدَتْهَا عن فؤاد اللَّيل كفٌّ جائره
وتَغَرَّدْ إنَّ للوردة عينا فاتره
أغمضتْهَا راحةُ الليل فقد هبَّ الصباحْ

إنَّمَا أنتَ حَياة ساحره

تترنَّمْ

رَتِّل التَّغريدَ شعريّا على سمع الزهورْ

واترك الرقَّة تهفو حول أوراد الغديرْ

فعروس النهر قد هَبَّتْ يناغيها الخريرْ

وتَصَبَّتْ نسمةُ الفجر الشعاعَ المستطيرْ

مثل هفّافِ الغيوم السابحه

في ضحاها

إنّ ألحان الظلام اثرة المكتئبه

تتوارى بسكون خلف تلك الأسْحِبَه

سَئِمَ الوردُ أنين اللّوعة المنتحبه

فانشد اللّحنَ رخيما يطربُ الكونَ رنيمُه

وادفن الحسرة في اللّحْدِ الرحيبْ

ورؤاها

فيكَ يَا بلبلُ ما في الشعر من وحي تعوبْ

فيك ما في الفجر من رِقّة لألاء طروب

فيك ما في الكون من فنّ ومن سحر خَلُوبْ

فيك ما في الزهرة من شعر الدموع

فيك ما في الدمعة المنحدره

من معاني

انفُثْ الشعرَ ففي شعرك روح خالده
كلَّما هَبَّتْ على تلك الزهور الراقده
أيْقَظت في صدرها نبضَ الحياة الهاجده
فاستفاقت تتغنّى بِأغَانٍ ساجيه
وعلى أجفانها سحر نضيرْ
وأمانِ
فيك يا طيرُ تَوَجَّسْتُ أغاريد الحَياه
وتَسَمَّعْتُ لِصَوْتٍ ضَلَّ عن قلبي صداه
فغدا ينشده، لكنَّه خاب وتَاه
فتهاوى مُضْرَمَ الغلَّةِ، مشبُوبا صداه
لأغَاريد الحَيَاة الضائعه
ولُغَاها
إنّ في صدركَ أوتار السماء الساجِعه
وبأعماقك أحلام الحياة الرائعه
وبآفاقك فجراً من حياة رائعه
في رياض الظهر في تلك المغاني الخالده
وبأجفانك أضواء عذابْ
مِنْ سَمَاهَا
أنتَ لحن ساحر قد جسَّم الدهرُ صداه
فَغَدا يهتف صدّاحا بأنغام هواه
رَامِقًا في نَضْرَةِ الأزهار أطيافَ مُنَاه

ساكبًا من قلبه الطّافح بالوحي لُحونه
في فؤاد الوردة المستمعه
لرخيمه

مِن نَشيد القلب في ظلّ الحيَاة الشاعره
مِن دموع الحبّ من سحر الأماني الناضره
مِن لظى اللّوعة في تلك الأغاني الحائره
في عيون الخُرُدِ العين ضياء ضاحكا
صاغكَ الدهرُ ملاكا ساحرا
برنيمته

أنتَ قلبُ الشاعِر المترعُ بالحبّ النمير
ساءه موطنُه الضّنْكُ ومأواه الحقير
فهَفا والشوقُ يُدْنيهِ إلى النور النضير
ثُمّ أمْسَى بين أفنان الغِيَاض العازفة
شاعِرا ينشطر الوحيُ الجَميل
من حياته

صَوْتُكَ المشبوبُ من نار الحياة الخالده
بائشا بالنّغمة السكرى الطروب الشارده
يبعثُ الآمالَ بالنفس اليؤوس الخامده
مثلما تنبعث البسمةُ من جفن الحيَاة
حينما يستيقظ الفجر الجَميل
من سباته

دموعُ الأملُ

حسراتٌ تُهيجها الذكرياتُ ... ودموعٌ تُفيضها الشَّهَقاتُ
وشجونٌ تثير في القلب آلاً ... ما تغنّي بصوتها الأنَّات
مَنْ لقلبٍ إذا تنهَّد حُزْناً ... صدّ عنه الشجونُ والغصّات ؟
مَنْ لنفس إذا استحرّ أساها ... جمدت في علومها (1) العبرات؟
كُلَّما مَضّها الزمانُ بِرُزْءٍ ... عذّبَتْها بصوتها الذكريات
ما أمضّ الحياة إنْ ساوَرَتْها ... بين هُوّاتٍ يأسها الحسرات
أمل ضائع وقلب عنيد ... مزّقَتْهُ الخطوبُ والصّعَقات
ما ندبتُ الحياةَ إلاّ وسمعي ... مِلْؤهُ مِن نشيجها شهقاتُ
كلّما طافت الحياة حَوَاً ... ليَّ هَوَتْ من جفونها العبرات

(1) لعلها «عيونها» (ت. ن. ب).

مـــا كـرهتُ الحيـاة إلا ّ لأن ّ النَّـــــاس فـي راحـة الـردى حَصَـوات

وهـي جَبَّـارة تـدوسُ بَنِيهَـا وتُغَنِّـي وهُمْ لَدَيْهَـا رُفَات

غَيْرَ أنِّـي رأيتُهَـا وهـي تـبكـي فـأفـاقـت بمهجتـي الـزفـرات

آلمتنـي شجـونـهـا فتعـذَّبـتُ وطـارت بـغبطـتـي الهَفَـوَات

وشَجَتْنِي دمُـوعُهـا فتـألَّمْـتُ وَغـاضـت بمهجتـي البسمـات

عشتُ في حَوْمَةِ الدَّهور بـآرا ئِـي ومـا تَسُـرّ الحَيَـاة

وغَـدَاً إنْ قَضيتُ غـارت شجـوني وطـواني لـدى القبـور السُّبَـات

فنَسِيـتُ الشقـاءَ والـدمعَ واليـأ سَ ونـامـت بمهجتـي الحـركـات

وقضـى فـي سكينتـي طـائرُ الحـز ن وأغفـت بصـدره الـنـدبَـات

هـكـذا يُلْجِـمُ المنونُ فـؤادي وتَـهُبّ الحقـائـقُ الـخـالـدات

النهضة : يوم الاربعاء 25 جانفي 1928

الأديب

إنّ الأديب كزهرة نفّاحة … تعنو إليها الصادحات وتسجد
بلْ بلبلٌ ما بين أنسام المنى … تلقاه صدّاحَ الصدى يتغرّد
تُشجيه ذكرى مجد شعب باذخ … ملأ الفضاء تلهبا لا يخمد
فينوح منتحبا على ما لم يعد … إلاادّكارا مؤلما يتجدّد
ويقوده الوهم الجميل للجنّة الـ … أحلام منها ينتقي وينضّد
فيصوغ من درر الخيال قلائدًا … منها السعادة في الورى تتخلّد
وإلى ملذّات الغرام ووهمه … تصبو أمانيه فلا يتردّد
فيبثّ للطير المغرّد سرّه … ولذلك النهر الذي لا يهجد
إن هزّ بالكفّ اليراعة أسلبت … دمعا هو السحر الحلال الأيّد
أو جاس أطراف النجوم بلمحة … رجعت وفيها خاطر يتوقّد

ويطوف ما بين الزهور كأنّه ... ملك حواليه الكواعب تحشد
وبمرشف الأزهار يسقي الراح من ... أيدي النسيم فينتشي ويعربد
إن رام تقبيل الثغور بدا له ... ثغر الأقاح مبلّبلا يتودّد
أو رام نجوى فالبلابل جمّة ... بين الرياض مدى الزمان تغرّد
أو شاقه سحر العيون فإنّ في ... تلك السهول جئاذرا لا تُكمد

---

* هذه القصيدة كانت نشرت باسم محمود خروف مرتين : الاولى فى جريدة *النهضة* يوم 16 فيفري 1928 ، والثانية فى جريدة الصباح فى 3 مارس 1966 .

ويؤكد الشاعر نور الدين صمود نسبتها الى الشابى فيقول : ان السيد خروف يعترف ويقسم بان القصيدة باكملها للشابي . انظر مجلة الفكر العدد العاشر جويلية 66 ص 6 ـ 7 من موضوع (محاولة تحقيق واحصاء لشعر الشابي) لنور الدين صمود .

أنسيم يهبّ

قصيد : لأبى القاسم الشابى . ردا عن تهنئة شعرية تلقاها بمناسبة « زفافه » (1931) من احد ابناء عمومته « الشيخ عامر بن محمد الصالح الشابى » .

الحمد لله وحـــده

أنسيـــمٌ يهبّ في الأسحـــار   بين تغـريـد بلبـل وهَـــزار
أم أنـاشيـد معبــد رتّلتهـا   كالنسيمات غـانيـات الجواري
أم أريج الزهور أم نغمة الأطيـــار   أم غنّـة النهيـر الجـاري
أم تهانيك صاغها فكرك السامـــي   فكانت خـريـدة الأشعـار
يا سليل العلا، وترب المعالي   وسمير العلوم، رب الفخار
أنت مَن تسجـد البلاغـــة والمجد على بـابـه بلا استكبار
تـربـه العلـوم أوجهها الغــرّ   وتجنيـه مـا بهـا من ثمار

إنْ يكن أسبغ الزمان على فوديــك من شيبه جلال الوقار
فبجنبيك لا تزال من الهمّة والمجــد جذوة من نــار
بسط الله في الحياة اليكــم عمرا طيبا بغير تبار
وأراكَ الله (!) ما شئت في أنجــالك الغرّ من علا وفخار
فهم صحبتي وإخوان نفسي في ظلامي وفي بياض نهاري
هاته بنت وقتها فتقبّلْهــا فما في قبولها من عار
ولتعش في الحياة مغتبط النفس قوى النهى يد الادهــار (1)

والسلام عليك من ابن أخيك
بلقاسم بن محمد بن بلقاسم الشابي

---

(1) هذه القصيدة نسخة عن الأصل المكتوب بخط الشاعر . امدنا بها السيد محمد الصالح بن عامر الشابي مشكورا . وقد احتفظ بها عن أبيه المهداة له ، ولم يسبق ان نشرت قط .

---

(1) أي أبدا.

الفهرس

	صفحة
تمهيد	5
ترجمة الشاعر	9
الغزال الفاتن	17
أيها الحب	19
خله للموت	21
النجوى	22
تونس الجميلة	24
شعري	26
الصيحة	28
في الظلام	30
جمال الحياة	32
من حديث الشيوخ	34
نظرة في الحياة	35
الحياة	38
انشودة الرعد	39
غرفة من يم	41
مأتم الحب	44
الكآبة المجهولة	47
شكوى اليتيم	50
الزنبقة الذاوية	52
يا شعر	55
الى الطاغية	64
السآمة	66
اغنية الاحزان	68
الدموع	73
ايها الليل	75

صفحة

المجد 80
الحب 81
جدول الحب 82
سر مع الدهر 87
الذكرى 88
الطفولة 90
قالت الايام 92
المساء الحزين 94
بقايا الخريف 98
اغنية الشاعر 101
في فجاج الالام 103
مناجاة عصفور 108
يا رفيقي 111
الى الموت 114
الى عازف اعمى 117
صوت تائه 119
قبضة من ضباب 121
نشيد الاسى 123
قلت للشعر 127
يا ابن امي 130
اغاني التائه 132
الى قلبي التائه 134

صفحة

اكثرت يا قلبي فماذا تروم 137
يا موت 140
الى الله 145
النبي المجهول 149
الابد الصغير 154
صفحة من كتاب الدموع 158
الجمال المنشود 161
طريق الهاوية 163
يا حماة الدين 165
شجون 167
الاشواق التائهة 168
احلام شاعر 171
قيود الاحلام 173
؟ 175
رثاء فجري 176
انا ابكيك للحب 178
ابناء الشيطان 180
صلوات في هيكل الحب 183
أ ر ا ك 188
فكرة الفنان 190
سر النهوض 193
قلب الام 194

الجـ

السعا

من أغانـ

أيتها الحالمه

للتاريخ ....

صوت من السماء .

ذكرى صباح ....

الرواية الغريبة ....

الصباح الجديد 34

الحانى السكرى 237

ارداة الحياة 240

تحت الغصون 245

الى الشعب 250

الناس 254

ـاعب العظمة 255

نشيد الجبار 256

زوبعة فى ظلام 259

صيحه

وعود الغوانى

ليلة عند الحبيب .

ليت شعرى ....

فى سكون الليل ....

إلى البلبل ....

دموع الألم ....

الأديب ....

أنسيم يهب ....

العنوان	صفحة
المجـد	80
الحـب	81
جـدول الحب	82
سر مع الدهر	87
الـذكرى	88
الطفولـة	90
قـالت الايـام	92
المساء الحزين	94
بقايـا الخريف	98
اغنية الشاعر	101
في فجاج الالام	103
مناجاة عصفور	108
يـا رفيقي	111
الى المـوت	114
الى عازف اعمى	
صوت تـائـه	
قبضة من ضباب	
نشيد الاسى	
قلت للشعر	
يـا ابن امي	
اغـاني التائـه	
الى قلبي التائه	
اكثرت يا قلبي فماذا تـروم	137
يـا مـوت	140
الى الله	145
النبي المجهول	149
الابـد الصغير	154
صفحة من كتاب الدموع	158
الجمـال المنشـود	161
طريق الهاويـة	163
يـا حمـاة الدين	
شجـون	
الاشواق التائهة	
احـلام شاعـر	
قيـه	

طرق [illegible] الشابي أبوابا كانت مغلقة [illegible] وافسح للأحاسيس الشعرية مجالا غير محدود وأ[illegible]ات لم يسب[illegible] ولكنه صهر كل ذلك في قوالب [illegible] مع الذوق العربي الأصيل وفي روح منسجمة مع [illegible]ة التي كان [illegible] فيها .

ولعل أهم [illegible] يتصف به أدب الشابي أنه في نفس الوقت ثورة [illegible] متجاوب مع المحيط القومي الذي فيه يحيا وله ينتسب .

فقد [illegible] حتى تطلعت الى مغلقات الانس[illegible] والكون فنزل [illegible] الى الأحاسيس الملحة وأفسح لها من كيانه ومن شعره . ولكنه لم ينفصل من بيئته الثقافية ولم يتنكر لشواغل المجتمع الذي هو منه . فكان شاعر الثورة على القديم البالي وعلى [illegible] الخانق وعلى جميع قوى الظلام التي تكبل الانسان [illegible] انطلاقه نحو النور ونحو ما يسميه الشابي [illegible] الجديد .

*

الشاذلي القليبي

70 شارع الحرية – تونس

0،480 د.ت.